



مطبوعات الجمع العلمي

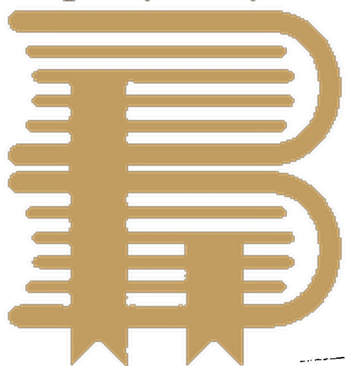
ديوان الاثرى

الجزء الثانى

بفداد

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

شبكة كتب الشيعة



مطبوعات المجمع العلمي

shiabooks.net

mktba.net < رابط بديل



ذِيْقَانِ الْاَثَرِ

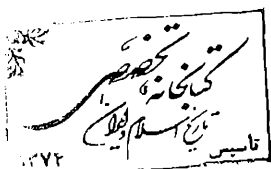
الجزء الثاني

بغداد

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

الباب الرابع

الطبيعة ودنيا العمران



بغداد .. مدينة السلام

« قال يونس بن عبد الأعلى :
قال لي (محمد بن ادريس الشافعي) ، رضي
الله عنه : يا (يونس) ، أدخلت بغداد ؟ فقلت :
لا . فقال : « يا (يونس) ، ما رأيت الدنيا ،
ولا الناس »

طاوَلَتْ ناصِيَةَ الشَّمْسِ عَنَّا
وَشَاتُ قاصِيَةَ النَّجْمِ عَيْنَانَا (١)
ضَاهَتْ الشَّمْسُ ، وَلَا كَيْنَ شَأْنُهَا
كَانَ أَغْلَى مِيزَانِ عِلَا الشَّمْسِ مَكَانَا (٢)
يَعْتَرِي الشَّمْسَ أَفُولٌ ، وَهِيَ فِي
أَفْقِهَا طَالِعَةٌ أَنَا فَأَنَّا

(١) العنان (الأولى) ، بالفتح : عنان السماء ، وهو ما عن لك منها إذا نظرت إليها ، أي : مابداً لك منها . والعنان (الثانية) ، بالكسر : الشوط . وفي « أساس البلاغة » : ومن المجاز تقول : جاء ثانياً من عنانه ، إذا قضى وطره ، وملأت عنان الفرس : بلغت به مجهوده في الحضر . - شأت : مضى .

(٢) ضاهت : شالكت .

يَا لَهَا جَوْهَرَةٌ ! شَفَّتْ سَنَامَ
 مِنْ نَوَاحِيهَا ، وَرَاعَتْ لَمَحَانَا
 أَبَدًا تُبْصِرُهَا فَاتِنَةٌ ،
 يَهْرَمُ الدَّهْرُ ، وَتَغْلُو عَنْفَوَانَا (٣)
 كُلَّمَا جَدَّ عَلَيْهَا قِدَمٌ ،
 نَضَّرَتْ وَجْهَهَا ، وَزَادَتْ لَمَعَانَا ،
 تَنْتَحِي أَفْقًا فَأُفْقًا صُعُودًا
 وَتَرُودُ الْمَطْمَحَ الْأَرْفَعَ شَانَا
 كَبُرَتْ مَا رُبَّ نَفْسٍ وَهَوَى
 وَسَمَتْ مَطْرَحَ لَحْظٍ وَرِهَانَا
 دُونَ أَدْنَى هِمَّةٍ مِنْ عَزَمِهَا
 تُسَلِّسُ الشُّمُسُ لِكَفِّئِهَا لِيَانَا (٤)

...

لَمْ يَرَ الدُّنْيَا أَمْرُؤٌ لَمْ تَرَهَا
 عَيْنُهُ يَوْمًا ، وَلَا النَّاسَ الرِّزَانَا (٥)
 مُشْتَهَى طَرْفٍ ، وَمَهْوَى خَافِقٍ
 يَعِشُّ الْحُسْنَ وَيَعْلُو خَفَقَانَا (٦)

(٣) عنفوان الشيء : أوله ، أو أول بهجته .

(٤) الشمس : جمع الشمس ، بفتح أوله ، وهو العسر الشديد .

(٥) تلميح إلى قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، رحمه الله ، ليونس
 أن عبد الأعلى ، الذي صدرت به القصيدة ، في صفة (بغداد) وناسها .

(٦) الخافق : صفة للموصوف المحذوف ، وهو القلب .

وَمُنَى نَفْسٍ تَصَبَّأَهَا الْهَوَى :

رَأَتْ الْأُنْسَ لَدَيْهَا وَالْأَمَانَا

• • •

وَرِثْتُ مَا أَثْلَتْنَاهُ (طَيِّبَةٌ)

و(دِمَشْقُ) ، وَأَجَدْتُهُ زِيَانَا (٧)

كُلُّ مَا اسْتُكْرِمَ مِنْ مُسْتَحْدَثٍ

تَصْطَفِي أَغْلَاهُ مَسَاً وَجُمَانَا (٨)

• • •

وَرِثْتُ غَرْسَ الْمَعَالِي طَيِّباً

وَمَسَقَّتُهُ دِرَّةَ الْحُبِّ لِبَانَا (٩)

أَنُرَفَتْ غُرَانُهَا ، فَازْدَهَرَتْ

وَزَكَّتْ مَجْنَى وَأَثَاراً حِسَانَا (١٠)

كَالْتِمَاحِ الْفَجْرِ هَقْلاً نَبِيَّراً

وَأَعْتَدَالِ الْغُصْنِ أَخْلَاقاً لِدَانَا (١١)

(٧) طيبة : المدينة المنورة . - أجدته : صيرته جديداً ، فتجدد . - الزيان ، بالكسر : ما يتزين به ، كالزينة .

(٨) استكرم الشيء : طلبه كريماً ، أو وجده كريماً . - تصطفي : تختار . - الجمال ، بالضم : اللؤلؤ ، أو هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة .

(٩) الدرة : اللين . - اللبان ، بالكسر : الرضاع .

(١٠) الفران : جمع فرير ، وهو الحسن ، وغرة الرجل : طلعتة ووجهه ، ووجه فرير : حسن .

(١١) اللدان : جمع لدن ، وهو اللين من كل شيء .

رُحِمَ (المنصور) ! هلْ شادتْ بِهَا

يَدُهُ إِلَّا حَيَاةً وَكِانَا ! (١٢)

• • •

سُدَّةُ الْمُلْكِ . . . وَمِنْ أَطْرَافِهَا

كَلَّتِ الدُّنْيَا فِجَاجاً وَرِعَانَا ! (١٣)

جَمَعَتْ تَيْجَانَهَا فِي وَاحِدٍ

جَمَعَ الْمَجْدَ مَكَاناً وَزَمَانَا !

دُورَتْ كَالْأَرْضِ ، وَأَنْدَاحَ أَسْمُهَا

وَعَدَا أَعْظَمَ مِنْهَا دَوْرَانَا ! (١٤)

رَنَّ فِي الدُّنْيَا صَدَاهُ ، وَحَـ

يُطْرِبُ الدُّنْيَا ، عَلَى الدَّهْرِ ، جَتَانَا (١٥)

مِثْلَ سَجْعِ الطَّيْرِ فِي كُلِّ قَمٍ

وَمَذَاقِ الشَّهْدِ قَدْ مَسَّ اللِّسَانَا

(١٢) المنصور : الخليفة العباسي ، عبدالله ، بن محمد ، بن علي ، بن العباس ، أبو جعفر ، المنصور : ثاني خلفاء بني العباس (٩٥-١٥٨ هـ) . ولي الخلافة بعد وفاة أخيه (السفاح) سنة ١٣٦ هـ وبنى مدينة (بغداد) . أمس بتخطيطها سنة ١٤٥ هـ ، وجعلها دار الملك بدلا من (الهاشمية) التي بناها (السفاح) .

(١٣) لمت : جمعت ، ولم الله تعالى شعثه : قارب بين شتيت أموره . ودارنا لمومة ، أي : تجمع الناس وتربهم . - الفجاج : جمع الفج ، بالفتح ، الطريق الواسع بين جبلين . - الرعان : جمع الرعن ، بالفتح والسكون ، وهو الجبل الطويل .

(١٤) دورت : اشارة الى حياة بناء (بغداد) ، وقد بنيت مدورة . - انداح : عظم ، واسترسل .

(١٥) الجنان ، بالفتح : القلب .

أَسْمَعَتْ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا مِسْمَعٍ
 وَأَعَارَتْهُ لِسَاناً وَبَيَاناً (١٦)
 دَانَ شَرْقُ الْأَرْضِ بِالْحُبِّ لَهَا
 مِثْلَمَا الْمَغْرِبُ بِالطَّاعَةِ دَانَا (١٧)
 رَحِمُ (الإسلام) مِنْ أَوْشَاجِهَا
 عَطَفَتْ بَعْضاً عَلَى بَعْضٍ حَتَانَا (١٨)

* * *

(الْحَضَارَاتُ) الَّتِي أَلْوَتْ بِهَا
 غَيْرَ الْأَيَّامِ ، أَحْبَبْتُهَا عِيَانَا (١٩)
 قَدْ تَلَاقَيْنَ عَلَى بَاحَتِيهَا ،
 وَتَمَازَجْنَ أَنْصَهَاراً وَافْتِنَانَا (٢٠)
 كَانَتْ (الْفُضْحَى) لَهَا أَوْعِيَّةٌ
 كَشَفِيْفٍ الضَّوِّ زَادَتْهَا أَفْتِنَانَا
 رَبُّ لَوْنٍ نَاصِلٍ ، عَادَ بِهَا
 مِنْ سَنَّا الْإِبْرِيْزِ أَبْهَى لَمَعَانَا (٢١)

(١٦) المسمع ، بالكسر : الأذن .

(١٧) دان له : أطاعه .

(١٨) الأوشاج : الأرحام المتشابهة .

(١٩) ألوت بها الغير : أهلكتها ، والغير ، بكسر الفين وفتح الياء : أحداث الدهر المغيرة .

(٢٠) الباحة : الساحة .

(٢١) نصل اللون : زال . - الإبريز : الذهب الخالص .

وَعَلَاءَ . . قَدْ كَادَ يَعْرِوْهَا الْبَيْلَى ،

كَتَلَتْهَا مِنْ عَوَادِيهِ صَيَانَا (٢٢)

وَعِصَامِي . . كَسَتْهُ مُعَلَّمَا

مِنْ بُرُودِ الْمَجْدِ مَوْشِيَا حُسَانَا (٢٣)

وَمَسَاعٍ حُرَّةٍ مَهْدِيَّةٍ

فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ ، أَوْلَتْهَا الضَّمَانَا

• • •

نَهَضَتْ زَهْرَاءُ شَمَاءَ الْـنَذْرَا

كَكَمَارِ الْيَمِّ يَذْكُو وَمَضَانَا (٢٤)

حَقَلَتْ بِالْعِلْمِ وَالسَّيْفِ مَعَا ،

فَعَدَّتْ لِلْعِلْمِ وَالسَّيْفِ صِيَانَا (٢٥)

(٢٢) كَلَاتَهَا : حَرَسَهَا .

(٢٣) الْعَصَامِي : مَنْ يَبْنِي مَجْدَهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَتَكَلَّ عَلَى مَوْرُوْثِهِ فَيَكْسِلُ وَيُخْمَلُ . وَضَدَهُ الْعِظَامِي . وَفِي الْمَثَلِ : « كُنْ عَصَامِيَا ، وَلَا تَكُنْ عِظَامِيَا » يَضْرِبُ فِي نِبَاهَةِ الرَّجُلِ مَنْ غَيْرِ قَدِيمٍ لَهُ . وَقِيلَ :
نَفْسُ عَصَامٍ سَوَدَتْ عَصَامَا وَعَلِمَتْهُ الْكُرَّ وَالْأَقْدَامَا
وَصَبَّرَتْهُ مَلَكَا هَمَامَا

و (عصام) : قِيلَ هُوَ (ابن شهبر) ، حَاجِبُ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، مَلِكُ (الْحَيْرَةِ) بِالْعِرَاقِ . تَنْظُرُ قِصَّتُهُ فِي (فَرَائِدُ الْأَلَالِ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ) : « مَا وَرَاءَكَ يَا عَصَام » ٢/٢٢٦ ، وَ « نَفْسُ عَصَامٍ سَوَدَتْ عَصَامَا » ٢/٢٩٦ . -
بَرْدٌ مُعَلِّمٌ : بِهِ رِسُومٌ وَرُقُومٌ . - مَوْشِي : مَنْقُوشٌ ، وَيَكُونُ الْوَشْيُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ . - حُسَانٌ ، بِالضَّمِّ : حَسَنٌ .
(٢٤) الْيَمُّ : الْبَحْرُ ، لَا يَكْسِرُ ، وَلَا يَجْمَعُ جَمْعَ السَّالِمِ . - ذَكَتِ النَّارُ : اشْتَدَّ لَهَبُهَا . - الْوَمُضَانُ : مُصَدَّرٌ وَمُضُّ الْبَرَقِ يَمْضُ وَمُضَا وَوَمِضْضَا وَوَمِضَانَا ، لَمَعَ خَفِيفًا ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ فِي نَوَاحِي الْغَيْمِ .
(٢٥) الصَّوَانُ : مَا يَصَانُ فِيهِ .

قِيرْنَا فِي قَرْنٍ ، وَأَسْتَحْصِدَا :
صَاحِبَ الْعِلْمِ لَدَيْهَا الصَّوْلَجَانَا (٢٦)

* * *

تَحْتَهَا (دِجْلَةٌ) يَجْرِي ضَاحِكاً :
يَحْمِلُ الْخِصْبَ ، وَيَسْتَنْشِي الْجِنَانَا (٢٧)
مُمْتِعاً مِنْ كُلِّ نُعْمَى غَضَّةٍ
بِالْبَوَاكِرِ رِطَاباً وَسِمَانَا (٢٨)
أَلَيْقَ الْأَوْضَاحِ ، لِمَتَّاحِ السَّنَا
يَدْفُقُ الْبِشْرُ عَلَيْهِ هَيْمَانَا
كَذَ وَبِهَا رِقَّةٌ رَقْرَاقَةٌ ،
وَمِرَاحاً ، وَأَنْشِرَاحاً ، وَحَنَانَا
مَنْ تَرَى رَقْرَقَ فِي صَاحِبِهِ
خُلُقَهُ الْأَزْهَرَ وَاللَّوْنَ الْهَجَانَا ؟ (٢٩)

* * *

بِأَبِي (بَغْدَادَ) ، بَلَّ بِي . . وَأَنَا
وَأَبِي ، قَلَّ لِي (بَغْدَادَ) فِدَانَا !

١٣٩٥/١ هـ

١٩٧٥/١ م

-
- (٢٦) القرن : الحبل . - استحصد : استحكم . - الصولجان : المحجن ، جمعه صوالجة ، والمحجن والمحنة : العصا المعوجة ، وكل معطوف معوج .
(٢٧) يستنشي ويستنشيء : يستحدث . قال أهل اللغة : الاستنشاء ، يهزم ولا يهزم ، وقيل : هو من الانشاء : الابتداء .
(٢٨) نعمى غضة : ناضرة . - البواكير : جمع الباكور ، وهو المعجل الإدراك من كل شيء ، وبهاء : الثمرة ، والنخلة التي تدرك أولاً .
(٢٩) الهجان : الأبيض .

بغداد . . على قم المارد

« في ربيع سنة ١٣٧٣ هـ (آذار ١٩٥٤م) فاض (نهر دجلة) أعظم فيضان شهدته (بغداد) منذ خمسين سنة سلفن ، فأغرق أرباض شرقي المدينة ، وصحبت طفيانه رياح عواصف شداد وأمطار هطالة متداركة دامت أياما وليالي ، وكادت « السدة » التي أقامها الوالي (ناظم باشا) ، يرحمه الله ، في أواخر العهد العثماني لحماية المدينة ، تتصدع من ذلك ، فتقتحم المياه الطاغية ماوراءها من العمران . وكانت ليلة ٢٨/٢٩ آذار أشد الليالي الحرجة اللواتي أرقن العيون وأذهل العقول . فنفر الجيش ، والشرطة ، وطلاب الكليات من ذكور وإناث ، إلى « السدة » يحصنونها ، ويملونها بأذلين من الجهد ومحتملين من الشقاء تحت المطر وعصف الرياح ما لا طاقة بمثله لبشر ، حتى أذن (الله تعالى) بكشف الغمة : فسلمت (مدينة السلام) من النكبة الجائحة المدمرة »

يا (نُوحُ) ! قُمْ . . دارَتْ بِنَا الْأَزْمَانُ

عُبِدَ الْهَوَى ، وَتَجَدَّدَ الطُّوفَانُ

قَدْ غِيبَتْ عَنْهُ ، فَأَيُّنَ مِنْكَ سَفِينَةٌ

— يا (نُوحُ) — يَنْفَرُ نَحْوَهَا الْإِنْسَانُ ؟

كَانَتْ مَلَاذَ اللَّاجِئِينَ ، وَمَا لَنَا
 - يَا (نُوحُ) - مَا يَنْجُو بِهِ الْحَبِيرَانُ (١)
 قَدْ كُنْتَ أَحْزَمَ مِنْ « شُخُوصٍ » بَيْنَنَا
 زَعَمُوا الرُّقِيَّ ، وَمَا دَرَوْهُ ، وَمَانُوا (٢)
 عَشِقُوا تَهَاوِيلَ النُّعُوتِ ، وَمَالَهُمْ
 فِي الصَّالِحَاتِ ، إِذَا ذُكِرْنَ ، مَكَانُ (٣)
 هُمْ مِثْلُ قَوْمِكَ فِي الضَّلَالِ ، وَلَئِنَّمَا
 جَهَلُوا ، عَلَى عِلْمِ الزَّمَانِ ، وَهَانُوا

* * *

مَنْ عَاصِمٌ لِلْخَلْقِ مِنْ مُتَوَعِّدٍ
 جَاشَتْ غَوَارِبُهُ وَهْنٌ رِعَانُ ؟ (٤)
 الْبَسْرُ صَارَ بِهِ عُبَاباً ثَائِراً
 كَالشَّعْبِ حَرَّقَ غَيْظُهُ الطُّغْيَانُ (٥)
 غَطَّى الْأَدِيمَ ، فَلَيْسَ إِلَّا مَأْوُهُ
 أَرَأَيْتَ بَحْرًا ، مَا لَهُ شُطَّانُ ؟ (٦)

-
- (١) الملاذ : الملجأ .
 (٢) مان يمين ميناً : كذب .
 (٣) تهاويل النعوت : ماهول به من الاوصاف ، كالقاب : « صاحب الجلالة »
 و « صاحب الفخامة » و « صاحب المعالي » .
 (٤) جاشت غواربه : هاجت اعالي امواجه . - الرعان : جمع الرعن ، وهو
 انف الجبل الشاخص البارز .
 (٥) العباب : ارتفاع الموج واصطخابه .
 (٦) اديم الارض : وجهها .

فَإِذَا سَجَا ، خَرَّقَ الْقُلُوبَ تَفَزُّعًا

وَلِإِذَا تَحَرَّكَ ، زَاغَتِ الْأَذْهَانُ ! (٧)

غَرَّثَانُ ، وَهُوَ يَكَادُ يَبْتَلِعُ الدُّنَى

وَكَأَنَّمَا أَمْوَاجُهُ الْحِينَانُ (٨)

هُوَ وَالسَّمَاءُ ، كِلَاهُمَا مُتَغَضِّبٌ

مُتَفَجِّرٌ ، وَكِلاهُمَا هَتَّانُ (٩)

بَاتَا عَلَى وَعْدٍ ، وَكُلُّ مُوعِدٍ

وَلَهُ وَرَاءَ وَعِيدِهِ حَدَثَانُ (١٠)

وَالنَّوْءُ يَأْتِي بِالصَّوَاعِقِ مُنْذِرًا

وَمَعَ الصَّوَاعِقِ مَارِجٌ وَدُخَانُ (١١)

وَكَأَنَّمَا (بَغْدَادُ) فِي أَثْبَاجِهِ

فُلُكٌ ، وَلَا كَيْنُ مَالُهُ رُبَّانُ (١٢)

قَامَتْ عَلَى فَمٍ مَارِدٍ مُتَلَمِّظٌ

أَرَأَيْتَ كَيْفَ تَلَمَّظَ الشُّعْبَانُ ؟ (١٣)

(٧) سجا : هدا وسكن .

(٨) غرثان : جوعان . - الدنى : جمع الدنيا .

(٩) هتان : صباب ، متتابع المطر .

(١٠) موعِد : مهديد .

(١١) النوء : المطر والرياح . - المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد ،

أو هو اللهب المختلط بسواد النار .

(١٢) الأثباع : جمع الثبع ، وهو وسط الشيء تجمع وبرز . - الفلسك :

السفينة . - الربان : قائد السفينة .

(١٣) تلمظ : متمطق ، ومخرج لسانه كالحية . - الشعبان : ذكر الحيات .

إِنْشَقَّ قُمْقُمُهُ ، فَهَامَ عَلَى الثَّرَى
 وَبِهِ عَلَى سَجَانِهِ غَلَبَانُ ! (١٤)
 لَوْلَا الْعِنَايَةُ لَاحْظَتِ رُحَمَاءُهَا
 لَمْ يَبْقَ أَنَاسٌ وَلَا عُمُرَانُ
 وَلَتَقِيلَ : كَانَ هُنَا ، زَمَانًا قَبْلَنَا ،
 مُلُكٌ ، وَنَاسٌ مِثْلُنَا . . قَدْ كَانُوا !

* * *

قَدَسْتُ بَرَّ الْمُحْسِنِينَ وَجَهَدَهُمْ
 وَقَوَّامُ هَذَا الْعَالَمِ الْإِحْسَانُ !
 وَذَكَرْتُ مَأْسَدَةً ، كَأَنَّ لِيُوثَهَا
 فِي « السَّدِّ » مِمَّا رَبَّهُ (خَفَّانُ) : (١٥)

* * *

لِلَّهِ دَرٌّ (الْجَيْشِ) مِنْ مُتَحَمِّسٍ
 قَامَتْ عَلَى إِخْلَاصِهِ الْأَوْطَانُ !
 نَصَّدَ التُّلُولَ عَلَى التُّلُولِ مُحَالِدًا
 لِلَّهِ . . ! مَاذَا تَفْعَلُ الشُّجْعَانُ ؟ ! (١٦)

- (١٤) هام : خرج على وجهه في الأرض لا يدري أين يذهب .
 (١٥) المأسدة : المكان الذي تكثر فيه الأسود . - السد : هو سد ناظم باشا
 من ولاية الدولة العثمانية في أواخر أيامها في العراق ، أحاط بفسداد
 الشرقية به لحمايتها من الفرق . ويقال له باللغة الدارجة « السدة » .
 - خفان : المشهور أنه أجمة في سواد الكوفة ، وكان فيها مأسدة ، ولا
 تعرف الآن .
 (١٦) نضد الشيء : ضم بعضه الى بعض متسقا . - المجالد : المضارب
 بالسيوف .

صَانَتْهُ عَيْنُ (الله) ... لَمْ يَهْدَأْ لَهُ
 بِالٌ ، وَلَمْ تُغْمِضْ لَهُ أَجْفَانُ
 بِهَا كَالِيءُ الْأَوْطَانِ فِي أَرْمَاتِهَا :
 هَلْ يَنْقَضِي مِنْهَا لَكَ الشُّكْرَانُ ؟ (١٧)
 وَقَفَتْ وَرَاءَكَ ، وَالْحَيَاةُ تَعَاوُنُ ،
 وَالنَّاسُ فِي تَبِعَاتِهَا لِخَوَانُ !
 كُلُّ يُقَدِّمُ قِسْطَهُ مِنْ جَهَنِّهِ
 ضَلَّ الْمُقَصِّرُ ، وَاهْتَدَى الْمِعْوَانُ !

حَيَّ (الشَّبَابَ) الْمُرْخِصِينَ نَفُوسَهُمْ ،
 وَنَفُوسُهُمْ تَغْلَى بِهَا الْأَثْمَانُ
 الْمَانِعِينَ إِذِ الْبَدِيَّةُ أَحْدَقَتْ
 وَالْحَافِظِينَ وَلَيْسَ ثَمَّ أَمَانُ
 قَامُوا وَرَاءَ عَرِيْنِهِمْ يَحْمُونَــهُ
 فِعْلَ الضِّيَاغِمِ هَاجَهَا الْعُدُونُ (١٨)
 تَحْدُوهُمْ النَّخَوَاتُ .. لَمْ يَعْصِفْ بِهِمْ
 جُبْنٌ ، وَلَا أَلْوَى بِهِمْ سُلُوانُ (١٩)

وَأَخْصَصُ (كَوَاعِبَ) كَالْأَزَاهِرِ نَضْرَةً
 نُورًا حَرَائِرَ ، حَلِيَّتُهَا الْعِرْفَانُ (٢٠)

(١٧) الكالِيءُ : الحارس .

(١٨) العرين : مأوى الأسد . - الضياغم : الأسود .

(١٩) ألوى به : أماله . - السلوان : النسيان ، غنى نسيان الواجب .

(٢٠) كواعب : شواب نواهد الثدي ، بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء .

- نور : نوافر من الريب ، الواحدة نوار .

غَالِبِينَ كَاللَّبُوتِ مَا أَجْنَحَ الْقُـرَى
وَالْمَدُنَ ، وَاسْتَعْلَى لَهُ سُلْطَانُ (٢١)
وَقَدَيْنَ بِالْمُهْجِ الْغَوَالِي مَوْطِنًا
كَرُمْتَ لَهُنَّ بِظِلِّهِ الْأَرْمَانُ (٢٢)

بِاللَّهِ . لَا تَصِمُوا الشُّبُولَ بِوَصْمَةٍ ،
مَنْ عُدَّةٌ ، وَذُخَيْرَةٌ ، وَخَنَانُ (٢٣)
أَكْبَادُنَا ، صَانِ (الْإِلَه) حَيَاتِهِمْ ،
لِقُلُوبِنَا بِوِدَادِهِمْ خَفَقَتْنَا
قَامَتْ شَوَاهِدُهُمْ عَلَى إِخْلَاصِهِمْ
كَالصُّبْحِ قَامَ بِنُورِهِ الْإِعْلَانُ



(٢١) اللبوات : اناث الأسود .
(٢٢) المهج : الأرواح .
(٢٣) وصمه : عابه . - الشبول : جمع الشبل ، وهو ولد الأسد ، ويستعمل مجازاً في الأبناء الشجعان .

جمال الطبيعة في الريف العراقي

- تَمَلَّ مِنْ الْحُسْنِ فِي الصَّاحِيَةِ
 وَحَيَّ بِهَا الْعَيْشَةَ الْهَانِيَةَ^(١)
 مَتَاعُ الْحَيَاةِ ، وَرَيَّحَانُهَا ،
 وَمَبْدَى مَبَاهِجِهَا الزَّاهِيَةِ^(٢)
 هُدُوٌّ كَمَا يَبْتَنِي الْمُتَعَبُونَ^(٣)
 سَجُوءٌ عَلَى الْبِقْظَةِ الْبَادِيَةِ^(٤)
 يَدُ (اللَّهِ) ، قَدْ بَارَكْتَ أَرْضَهَا
 وَوَشَّتْ خِمَائِلَهَا الْحَالِيَةَ^(٥)
 وَأَلْقَتْ مِنَ السَّحْرِ فِي حُسْنِهَا
 أَرْقًا مِنَ السَّحْرِ فِي الْجَازِيَةِ^(٦)
 أَصِيلُ الْمَلَامِيحِ ، لَا لَوْنُهُ الْـ
 مَدَّهَانُ ، وَلَا طَيِّبُهُ الْغَالِيَةِ^(٧)

-
- (١) تمل : تمتع . يقال : ملاك الله حبيبك تملية : أي : تمتع به ، واعاشك معه طويلاً .
 (٢) المبدى : المظهر .
 (٣) السجود : السكون . - الهدوء : الهدوء ، سهلت همزته وشدد ، ليجانس لفظ « سجد » .
 (٤) الجازية : الجازئة ، وهي الظبية .
 (٥) الغالية : اخلاط من الطيب .

وَلَا كَيْنَهُ وَشَيْ خَلْقِهِ ،
 (٦) وَرَوْحُ رَبِّاحِيْنِهِ الذَّاكِيَّةُ
 صفا مِنْ خِدَاعٍ وَمِنْ صَنْعَةٍ
 فَشَتَّ لَهُمَا فِي الدُّنْيَا فَاشِيَّةُ
 وَصَفَى مِنْ الْخَبَثِ الْوَالِدِيْنَ
 (٧) وَزَكَّى الشَّمَائِلَ فِي النَّاشِيَةِ
 وَمَنْ يَأْلَفِ الْحُسْنَ يَكْسِبُ حِلَالَهُ
 وَيَنْعَمُ بِأَوْصَافِهِ الْعَالِيَةِ !
 * * *
 أَقْدَى بِسَاعَتِهَا بَرْهَةً
 (٨) مِنْ الدَّهْرِ فِي الْمُدُنِ الرَّاغِيَةِ
 فَمَا الْعَيْشُ حَيْثُ أَصْطَحَابُ الْهُمُومِ
 بَعِيْشٍ بِطَيْبٍ لِأَمْثَالِيَّةِ
 بِقَاعٍ . . نَعِمْنَ بِسِحْرِ الْفُتُونِ ،
 وَطَافَتْ بِهَا الْعَيْشَةُ الرَّاضِيَّةُ
 بِنَفْسِي (مَسَارِحَهَا) النَّاضِرَاتِ
 (٩) وَأَفْوَافَ سُنْدُسِهَا الرَّاكِيَةِ

(٦) الروح : نسيم الريح . - الذاكية : الطيبة .

(٧) الناشئة : الناشئة .

(٨) الراغبة : هي التي لها صخب من كثرة الناس كرهاً الأبل .

(٩) الأفواف : ثياب رفاق موشاة . - السندس : رقيق الديباج ورفيعه .

- الزاكية : المنعمة في الخصب .

- قَدَرِ أَنْتَشَرَتْ ، فَوْقَ أَرْبَاضِهِ ~~الْمَدِينَةِ~~ ^{الْمَدِينَةِ} ^(١٠)
- تَنْزَى هُنَا أَوْ هُنَا مِنْ رَوَاهُ ^(١١)
- وَتُبْغَمُ مِنْ شَبَعٍ ثَاغِيَةٍ ^(١٢)
- وَقَدْ رَجَعَتْ لِلْمَرَاكِ الْأَصِيلِ ^(١٣)
- بِتَرْجِعِ وَالْهَيْ حَانِيَةٍ ^(١٤)
- وَمَاجَ بِهَا الرَّبْعُ نَاسًا بِنَاسٍ ،
- وَذَلِكَ دَاعٍ ، وَذِي نَاهِيَةٍ ^(١٥)
- وَرَاعٍ .. بِشَبَابَةٍ زَامِيَةٍ ،
- وَأَخَرُ يَنْعَقُ بِالْقَاصِيَةِ ^(١٦)
- وَهَاتِيكَ .. تَرْضِعُ أَطْفَالَهَا ،
- وَهَاتِيكَ .. تَحْنُبُهَا الرَّاعِيَةُ ^(١٧)
- وَتُبْصِرُ ثُمَّ الصَّبَابِيَا الْمِيَالِحَ
- يَرْدُنَ مَشَارِعَهَا الصَّافِيَةِ ^(١٨)

- (١٠) الأرباض : الضواحي ، وما حول المدن ، واحدها ربض ، بفتحين .
- (١١) تنزى : تنزى ، حذفت تاء المضارع منه تخفيفاً ، أي : تتوئب .
- الرواء بالفتح : الماء المذهب ، والكثير المروي . — تبغم : تصوت بالين صوت وارقة . — ثاغية : صائحة ، والثفاء خاص بالشياء .
- (١٢) المراح : الموضع الذي يراح منه ، أو يراح اليه . — الأصيل ، بالنصب على نزع الخافض ، وهو الوقت حين تصفر الشمس لمغربها . — والهة : حانة الى ولدها .
- (١٣) الربع : المنزل .
- (١٤) الشبابة : قصيدة الزمن « مولدة » . — القاصية : البعيدة المنقطعة عن السرب .
- (١٥) المشارع : موارد الماء .

يَسِرْنَ الْعِرْضَنَةَ تَحْتَ الْجِرَارِ
 ضَوَّاحِكَ رَائِحَةَ غَدِيَّةٍ ، (١٦)
 وَتَمَّ مَضَارِبَ (*) مَنُثُورَةً
 فُرَادَى ، بِأَصْحَابِهَا نَائِيَةً
 عَلَى نَاعِمٍ مِنْ طَلِيلِ النَّبَاتِ
 تَوَسَّدُ أَبْرَادُهُ الضَّافِيَّةُ (١٧)
 يُفِيءُ عَلَيْهَا الْأَصِيلُ الظُّلَّالَ
 تُمَازِجُهَا حُمُرَةٌ قَائِيَةٌ (١٨)
 وَمِنْ حَوْلِهَا فِي الْأَوَاخِي الْمِهَارُ
 تَصَاهِلُ مِنْ مَرَحٍ لَاهِيَّةٍ ، (١٩)
 وَنَارًا (*) تُشَبُّ وَيَعْلُو لَهَا
 دُخَانٌ وَرَاءَ اللَّطَيِّ الْوَارِيَّةِ (٢٠)
 إِلَى أَنْ تَغِيْبَ وَرَاءَ النَّخِيْلِ
 (ذُكَاءٌ) ، وَتُسْتَقْبَلَ الدَّاجِيَّةُ (٢١)

- (١٦) العرضنة : الاعتراض في السير من النشاط .
 (*) معطوفة على « الصبايا الملاح » في قوله السابق : « وتبصر .. البيت .
 (١٧) طليل : مطلول ، متلذذ بالطل ، وهو الندى الذي ينزل في آخر الليل .
 (١٨) الأصيل : الوقت حين تصفر الشمس لمغربها . - قانية : قانئة ، شديدة
 الحمرة .
 (١٩) الأواخي : العرا ثبتت في الأرض أو الجدار ، وتربط بها الداببة .
 - المهار : جمع المهر ، وهو أول ما ينتج من الخيول . - تصاهل :
 تتصاهل ، أي تتصايح . - المرح : النشاط .
 (*) معطوفة على : « وتم مضارب .. البيت .
 (٢٠) الوازية : المتقدة .
 (٢١) ذكاء : الشمس . الداجية الظلمة .

هَنَالِكْ تَعْمُرُ بِالسَّامِرِينَ
 مَجَالِسُهَا السَّمْحَةُ الْهَادِيَةُ
 وَأَحْبَبُ بِلِينَسٍ لَبْلَاهَا
 إِذَا أَقْمَرَتْ ، وَلَهَا الرَّاوِيَةُ (٢٢)
 وَهَبَّتْ نَوَاسِمُهَا الطَّيِّبَاتُ
 تَنْثُ طَرَاهَتَهَا النَّادِيَةُ (٢٣)
 وَصَبَّ عَلَى النَّايِ ذُو لَوَعَةٍ
 وَحُبِّ هَوَى نَفْسِهِ الصَّايَةِ
 وَهَبَّتْ تُصَفِّقُ أَتْرَابُهَا
 بِلِيقَاعِ أَنْغَامِهِ الشَّاجِيَةِ (٢٤)
 مِلَلْتُ غِنَاءَ شَبِيهِ النَّهَاقِ
 ثَقِيلًا عَلَى الْأُذُنِ الْوَاعِيَةِ
 أَحْسُ لَهُ مِثْلَ وَقَعِ الصُّخُورِ
 وَتُصْبِحُ نَفْسِي بِهِ غَائِبَةً (٢٥)
 وَأَحْبَبْتُ مَا كَانَ عَقْوَ الطَّبَاعِ
 كَمَا يُرْمِلُ الشَّاعِرُ الْقَافِيَةَ ،

(٢٢) الرواية : القاص الذي يحكي الاخبار والاشعار والاسمار ، وذلك هو لهو .
 (٢٣) الناي : من آلات الزمر ، ويسمى القصب أيضا . - الصبوة : الميل
 الى اللهو والغزل .

(٤) الاتراب : المائلون في السن ، واحدها ترب ، بكسر وسكون .

(٢٥) غائبة : جائشة متهينة للقيء من سوء ما تسمع من الاصوات المنكرة ،

وَكَاثَتْ لِنِعْمَتِهِ لَذَّةٌ ،

وَكَاثَتْ أَرَانِيْنُهُ شَافِيِيْنُهُ (٢٦)

وَتَسَحَّرُنِي صَدَحَاتُ الدُّيُوكِ

بِأَسْحَارِهَا تَمَلَّأُ الضَّاحِيِيْنُهُ (٢٧)

يَصِيحُ بِنَاحِيَةٍ زَامِيِيْرٌ ،

فَيَتَلَوُهُ آخَرُ فِي نَاحِيِيْنُهُ

كَأَنَّ لَهَا مَوْعِدًا فِي الصَّبَاحِ

فَهَبَّتْ بِأَلْحَانِهَا شَادِيِيَّةٌ ،

لِتَسْتَقْبِلَ الْفَجَرَ فِي مَوْكِبِ

فُتُونًا بِأَوْضَاحِيِيْنِ الْبَاهِيِيْنُهُ (٢٨)

وَلَيْسَ كَأَسْحَارِهَا فِي الْجَمَالِ

عَلَى (دِجَلَةٍ) ، وَالذَّنَى سَاجِيِيَّةٌ (٢٩)

بِحَيْثُ النَّزْهُ فِي شَطْطِهَا

حَيِيْبٌ إِلَى نَفْسِي الصَّادِيِيْنُهُ (٣٠)

وَلِي حَيْثُمَا أَنْتَحِي وَقَفَّةٌ

وَنَفْسِي نَشْوَانَةٌ صَاحِيِيْنُهُ (٣١)

(٢٦) الارانين : الأصوات الرقيقة ذوات الرنين .

(٢٧) الأسحار : جمع السحر ، وهو آخر الليل قبل الفجر .

(٢٨) أوضاحه : أضواؤه . - الباهية : الرائعة الجمال .

(٢٩) الذنى : جمع الدنيا . - ساجية : هادئة ساكنة .

(٣٠) الشط : الشاطئ . - الصادية : العطشى الى مشاهد الحسن .

(٣١) انتحى : اقصد .

أَصْبَحَ إِلَى نَامَاتِ «الْوَجُودِ»
 وَأَجْلُوا سَرَانَةَ الْخَالِيَةِ (٣٢)
 وَتَنْتَهَبُ الْحُسْنَ حَيْنِي السَّرُوقُ
 وَلَا كَيْفَهَا لَمْ تَزَلْ ظَامِيَةً (٣٣)

سَلَامٌ عَلَى (دِجَلَةِ) فِي الْبُكُورِ
 وَإِنْ آتَيْتَ كُلَّ أَوْقَاتِيهِ
 عَلَى النَّسَمَاتِ الْمَذَابِ الرُّطْبَا
 ب ، يَسِيرْنَ بِأَنْفَاسِ أَحْبَابِيهِ
 عَلَى لُطْفِهَا ، وَعَلَى سِحْرِهَا
 إِذِ الشَّمْسُ فِي حَيْدَرِهَا غَائِبِيهِ
 وَقَدْ بَسَمَتْ وَهِيَ فِي تَوْبِهَا
 قَرَفًا لَهَا الرُّوضُ وَالسَّاقِيَتِيهِ
 كَأَنَّ نُشَارَةَ أَضْوَانِهَا
 تُغُورُ الْخَرَائِدِ فِي الدَّاجِيَةِ (٣٤)
 تَرَى الْأَفْقَ مِنْ حُسْنِهَا مِثْلَمَا
 تَعَرَّتْ لِتَبْتَسِرَ الدَّائِيَتِيهِ (٣٥)

-
- (٣٢) النامة : الصوت الضعيف الغمي .
 (٣٣) الظامية : الظامئة ، وهي العطشى .
 (٣٤) الخرائد ، الأبقار لم يمسن ، والشديدات الحياء .
 (٣٥) تبتد : تفتسل بالماء البارد . - الغاية : الحناء غثيت بحسنها
 من الوبنة .

صَفَا مِنْ بَيَاضِ تَبَاشِيرِهَا
 أَدِيمًا ، وَرَفَّتْ بِهِ الْحَاشِيَّةُ
 كَمِثْلِ الضَّمِيرِ صَفَا مِنْ أَذَاةٍ
 وَثَقِيَّ مِنْ كُدْرَةِ غَاشِيَةٍ
 وَقَدْ لَمَعَتْ (دِجْلَةٌ) تَحْتَهُ
 كَالْمَعْتِ فِضَّةً آنِيَةً . (٣٦)
 جَلَّتْ وَجْهَهَا غَادِيَاتُ النَّسِيمِ
 كَمَا صَقَلَتْ خَدَّهَا الْغَاوِيَةُ
 يُدْغِدِغُهَا مَسٌّ تَقْيِيلِهَا ،
 فَتَأْخُذُهَا رَعَشَةٌ رَابِيَةً (٣٧)
 تَحِفُّ بِهَا ثُمَّ يَبِضُّ الْقُصُورِ
 غَوَارِقَ فِي الْخُضْرَةِ الْكَاسِيَةِ

نَحِيلُ .. تُظَلِّلُ أَفْيَاؤُهَا
 جَنِيَّ الْفَوَاكِهِ وَالْدَّالِيَّةِ
 إِذَا لَامَسَتْهَا أَكُفُّ النَّسِيمِ
 بَعَثْنَ إِلَيْكَ شَذَا الْفَاغِيَةِ (٣٨)

(٣٦)

(٣٧)

(٣٦) الآنية : جمع الاناء .

(٣٧) رابية : زائدة نامية .

(٣٨) الفاغية : نور « زهر » كل نبت ذي رائحة طيبة . - شذاها : رائحتها الذكية .

- وما ضَرَّ مَنْ شَرِبَ المُسْكِرَاتِ
 إِذَا شَمَّهَا وَجَفَا الْخَابِيَةَ (٣٩) ؟
 عَلَيْهَا السَّوَاجِعُ وَالْهَاتِفَاتُ
 تُرَاقِصُ أَعْطَافَهَا الرَّاوِيَةَ (٤٠)
 عَلَى لَغَطٍ دَائِبٍ يُسْتَحَبُّ
 وَتَهْفُو لَهُ الْأَنْفُسُ الْعَانِيَةَ (٤١)
 يَرُوقُ عَلَى نَغَمَاتِ الْخَرِيرِ
 تَصِلُ السَّوَاقِي بِهِ الْجَارِيَةَ (٤٢)
 تَطَابِرُ مِنْ فَرْحٍ بِالصَّبَّاحِ
 وَتَسْمَعُ هَازِي لِيذِي لَاغِيَهُ
 بِمُخْتَلِفٍ مِنْ لُحُونِ السُّرُورِ
 وَمِنْ قَرَقَرِيرٍ بِهِ هَازِيَهُ (٤٣)
 تَفْتَحُ خَافِقُهَا لِلْجَمَالِ
 فَلَازَمَتِ الدَّوْحَ وَالسَّاقِيَسَهُ (٤٤)
 سِبَاهَا السَّنَا وَالشَّذَا وَالنَّدى
 فَمَا فَتِثَتْ جَذَلًا شَادِيَهُ (٤٥)

-
- (٣٩) الخابية : وعاء الخمر .
 (٤٠) الأعطاف : الجوانب ، واحدها عطف ، بالكسر والسكون .
 (٤١) اللفظ : الاصوات المختلفة المبهمة . — تهفو : تطرب . — العانية : المتعبة .
 (٤٢) تصل : تصوت اصواتا ذوات رنين .
 (٤٣) القرقير : هدير الطيور .
 (٤٤) خافقها : قلبها . — الدوح : الاشجار العظام ذوات الفروع الممتدة .
 (٤٥) الجدل : الفرح . — الشادية : المترنمة .

تَمَلَّ .. فَمَی نَاطِرَیْكَ الْجَمَالَ ،
وَفی تَفْسِکَ الْحُبُّ وَالْعَافِیَّةُ :
مَنَاطِرُ شِبْهِهِ الرُّؤْی فَاتِنَاتٌ
سَوَاحِرُ خَالِبَةٍ سَابِیَّةٌ (٤٦)
تُجَدِّدُ لِلْعَیْنِ مِثْلَ الطُّیُوفِ
وَأَلْوَانِ أَشْكَالِهَا السَّارِیَةِ
تَأَزَّرَ بِالْحُسْنِ عُرْیَانُهَا
كَحَسَنَاءَ کَاسِیَةِ عَارِیَةِ !

وَلَمَنِی وَلَوْ بِزَاهِیِ الْجَمَالَ
وَمَعْنَاهُ فِی الصُّوْرِ الرَّاقِیَّةُ
رَأَيْتُ كَثِیرًا ، وَمَا شَاقَنِی
كَمَعْنَى الْجَمَالَ بِأَوْطَانِیَّةِ !

١٩٥٢/٧ م

(٤٦) خالبة : فاتنة . - سابیة : اسرة .

دمشق

« انشدها في الحفل الذي أقامه لتكريمه
علامة الشام رئيس المجمع العلمي العربي
الأستاذ محمد كرد علي عند حلوله بدمشق
في آب ١٩٣٧ »

مَنْ عَدِيرٌ مِنْ الْهَوَى وَمُجِيرٌ ؟

(١) فَضَحَ الشَّوْقُ مَا أَجَنَّ الضَّمِيرُ

أَنَا فِي قَبْضَةِ الْجَمَالِ : فَخَوْدُ

(٢) تَسْتَبِينِي ، وَرَوْضَةُ ، وَغَدِيرُ

هَازِهِ « جَلَقٌ » .. تَبَارَكَ رَبِّي !

(٣) « بَلَدٌ طَيِّبٌ ، وَرَبٌّ غَفُورٌ »

الْهَوَى ، وَالْهَوَاءُ ، وَالْجَدْوَلُ الرَّقْـ

رَاقُ ، وَالرَّوْضُ ، وَالسَّنَا ، وَالْحُورُ

حَيْثُمَا تَغْتَدِرُ ، فَرَوْضُ أَرِيضُ

(٤) عَنَبَرِي الشَّدَا ، وَمَاءُ نَمِيرُ

(١) العدير : العاذر . - أجن : أخفى .

(٢) الخود : الشابة الناعمة الحسنة الخلق « بفتح الخاء » . - تستبينني : تأسرني بجمالها .

(٣) جلق : من أسماء دمشق .

(٤) أريض : كثير النبت حسن المراءى . - ماء نمر : طيب ناجع في الري

وَظِلَالٌ مَمْدُودَةٌ وَهِيَ تَنْسُدِي ،
 وَشُعَاعٌ يَرِفُ وَهُوَ مُنِيرُ
 مِنْ سَنَا الشَّمْسِ فَوْقَهَا ، وَمِنْ الزَّهْدِ
 ر . . دَنَائِيرُ عَسْجَدٍ ، وَعَبِيرُ
 يُقْتَلُ الْقَيْظُ فِي ذَرَاهَا ، وَلَا كَيْنُ
 فِي ذَرَاهَا يَحْيَا الْهَوَى وَيَسُورُ^(٥)
 جِئْتُ آوِي مِنْ الْحُرُورِ إِلَيْهَا
 فَلَمَّا فِي الْحَشَا يَشِبُّ الْحَرُورُ^(٦) !
 أَنَا . . مِنْهَا ، وَمِنْ مَهَاهَا اللَّوَاتِي
 يَتَقَتَّلْنَ رِقَّةً ، مَسْحُورُ^(٧)
 كُلُّ بَيْضَاءٍ فِي لَوَاحِظٍ سُودٍ
 رَفَّ فِي خَيْدِهَا الدَّمُ الْمُسْتَحِيرُ^(٨)
 فِي قَوَامٍ لَدُنِ الْمَجَسَّةِ رِيًّا
 نَ ، وَخَصْرٍ مِنْ الضَّنَى يَسْتَجِيرُ^(٩)
 وَصَبًا نَاضِرَ الشَّبَابِ . . غَذَاهُ
 تَرَفُّ الْعَيْشِ ، وَالنَّعِيمُ الْوَيْبِرُ
 وَأَدِيمٍ مُنْعَمٍ فِي حَبِيرٍ
 يُوهِمُ الْعَيْنَ مَأْوَهُ وَالْحَبِيرُ^(١٠)

(٥) الذرا ، بفتح الدال : الكنف ، والظل . - يسور : يشب ويثور .

(٦) الحرور : حر الشمس .

(٧) يتقتلن : يتثنين في مشبهن ، ويتكسرن من الرقة والدلال .

(٨) المستحير : الدائر في الوجنات .

(٩) اللدن : اللين . - المجسة : موضع الجس .

(١٠) العجير : الثوب الناعم الموشى .

لَمَعًا . . كَالسَّرَابِ شَفًّا ، فَلَا تَدَّ -

رِي : أَمَاءُ لَا لَأُوهُ ، أَمَ نُورُ ؟ (١١)

تَنْفُثُ السَّحَرِ فِي الْخَيْلِ فَيَشْجَى ،

وَتُثِيرُ الْهَوَى بِهِ فَيَثُورُ (١٢)

وَلَقَدْ زَانَهَا النُّفُورُ ، وَحُسْنُ الـ

حُسْنٍ فِي الْغَادَةِ الْعَرُوبِ النُّفُورُ ! (١٣)

كَرَّمَ (اللَّهُ) وَجْهَ كُلِّ نَوَّارٍ

صَانَهَا الطُّهْرُ وَالْحَيَاءُ الْوَقُورُ (١٤)

لِيَ مِنْ هَيْكَلِ الْجَمَالِ الْمَعَانِي ،

يَجْتَلِيهَا قَلْبِي وَيَذْكُو الشُّعُورُ

* * *

(وَطَنُ الْعُرْبِ) ، جَنَّةٌ . . وَ (دِمَشْقُ)

رَفَرَفَ أَقْدَسُ الْمَطَافِ طَهُورُ (١٥)

شَرِقَتْ بِالرُّؤَى مَسَارِحُهَا الْخُضْنُ

رُ ، وَرَوَى نَعِيمَهُنَّ السُّرُورُ (١٦)

(١١) السراب : ما يرى في نصف النهار كالماء في الصحارى . - شف : رق حتى يرى ما خلفه .

(١٢) الخلي : الخالي البال من الهم .

(١٣) العروب : المتحبة الى زوجها ، النفور من غيره .

(١٤) النوار : النفور من الريبة .

(١٥) الرفرف : البساط .

(١٦) شرقت : امتلأت .

• • •

رُبَّ نَادٍ ، تَخِذْتُهُ فِي الرَّوَابِي
أَقْرَأُ الْحُسْنَ مِنْهُ وَهُوَ سَطُورُ
فَعَلَى (الْغُوطَتَيْنِ) وَالشَّمْسُ تَبْدُو
وَعَلَى (النَّيْرَبَيْنِ) وَهِيَ تَغُورُ (١٧)

فَلِذَا (جِلَقٌ) رِيَاضُـاً وَدُوراً
كَالْمَصَابِيحِ حَفَّاهَا الدَّيْنُجُورُ (١٨)
عَالَمٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ ، طَافَ بِالْدَّرِ
رِ ، وَأَذْكَاهُ بِالرُّوَاءِ النُّورُ
سَاحِرُ الْمُجْتَلَى . . أَطْلَعَ عَلَيْهِ
(قَاسِيُونَ) ، كَأَنَّهُ مَذْعُورُ (١٩)

يَغْرِقُ الْبَحْسُ فِي سَنَاهُ ، وَيَتَفَنَّى
فِي تَهَاوِيلِ سِحْرِهِ التَّفَكِيرِ

• • •

أَنَا لِمِنْ أَنْسَ لَسْتُ أَنْسَى لِيَالِي -
لِذَا الْبَدْرُ ضَاحِكٌ وَالْغُورُ

(١٧) الغوطتان : غوطتا دمشق ، الغوطة الشرقية والغوطة الغربية . ولا يقال
الآن في دمشق إلا « الغوطة » . وهي إحدى متنزهات الدنيا الأربعة
المشهورة قديماً في الشرق : غوطة دمشق ، ونهر الأبله في البصرة ،
وصفد سمرقند فيما وراء النهر ، وشعب بوان في فارس . و (النيربان) :
موضعان في صالحيه دمشق ، من أنزه الاماكن ، كانت بهما مساكن
الرؤساء والأعيان .

(١٨) الديجور : الظلمة .

(١٩) قاسيون : جبل دمشق ، يحد الغوطة من شمالها .

وَكَاَنَّ الْأَكْوَانَ فِي دَافِقِ الثَّو -

رِ بِحُورٍ قَدْ أَغْرَقَتْهَا بِحُورُ !
يَمْرَحُ الْقَلْبُ فِي سِنَاهَا ، كَمَا يَمُ
رَحُ فِي الْمَاءِ سَابِحاً عَصْفُورُ !
قَدْ تَفَرَّدَنَ بِالصَّبَاحَةِ ، لَوْلا
وَجَنَاتُ نَارَ عَنُهَا وَنُحُورُ !

حَبَّذا (الشَّامُ) مَاؤُهَا وَهَوَاهَا
وَمَسَارِي أَنْهَارِهَا ، وَالْقُصُورُ ،
وَمِيَادِينُ حُسْنِهَا وَهِيَ شَتَّى ،
وَمَغَانِي اللَّذَاتِ وَهِيَ كَثِيرُ
جَادَهَا الْغَيْثُ مِنْ مَعَاهِدَ . . لا اللَّطُ
فُ عَدَاهَا ، وَلَا النَّعِيمُ الْحَبِيرُ (٢٠)
مُحَسَّنَاتُ الْأَوْقَاتِ ، حَتَّى ضُحَاهَا
وَشَحَّتُهُ بِإِلْطَفِهَا الْبُكُورُ
وَيَنْفِيسِي خَرِيرَ (أَنْهَارِهَا السَّبَّ
حَةِ) دَوَامَةً عَلَيْهَا الطُّيُورُ (٢١)
تَتَلَوَّى كَالْأَيْنِ رِيحَ ، وَتَهْتَزُ
- زُ أَرْتَعَاشاً ، وَتَرْتَمِي ، وَتَمُورُ (٢٢)

(٢٠) الحبير : الثوب الناعم الموشي .

(٢١) دوامة : محلقة في الهواء .

(٢٢) الأين : الحية . . ريع : افزع . - تمور : تضطرب وتموج .

وَهِيَ آثَا فِي السَّهْلِ تَعْدُو ، وَأَنَا
 فِي الرَّوَابِي الْمُسْتَسَلَاتِ تَغِيرُ
 تَغْمُرُ (الْغُوطَتَيْنِ) بِشَرًّا وَزَهْوًا
 مِثْلَمَا يَغْمُرُ النَّفُوسَ الْحُبُورُ
 وَعَلَى صَوْنِهَا الطُّيُورُ تَغْنَى
 وَلَقَدْ يُطْرِبُ الطُّيُورَ الْخَرِيرُ
 عَشِيقَتُ لَحْنِهِ ، وَلِلْمَاءِ لَحْنٌ
 يُسْكِرُ السَّمْعَ جَرَسُهُ الْمَخْمُورُ (٢٣)
 حَيْثُ تَعْدُو ، ، يُلْهِيكُ مِنْهَا سَمَاعُ
 وَمِنْ الرُّوضِ مُؤْنِقٌ مَنضُورُ (٢٤)

عُرْسٌ . . قَامَ لِلطَّبِيعَةِ فِيهَا
 يَسْتَخِفُّ الْإِنْسَانُ وَهُوَ وَقُورُ
 تَهْزِجُ الطَّيْرِ وَالْأَنَاسِي فِيهِ ،
 وَيَمُورُ السَّنَا ، وَيَذْكُو الْعَبِيرُ

قِفْ تَمَتَّعْ مِمَّا تَرَاهُ قَلِيلًا ،
 وَقَلِيلٌ مِمَّا تَرَاهُ كَثِيرًا !
 لِأَتُوفِ الشَّدَا أَرِيجًا ، وَلِلِسَمْعِ
 حِ الْآغَانِي ، وَلِلْحَاطِ الْبُدُورُ !

(٢٣) جرسه : صوته الخفي .

(٢٤) مؤنق : معجب رائع الحسن . - منضور : محسن ومنعم .

دمشق . . جمال وتاريخ

أَبِكَ أَرْتَوَى وَأَخْضَلَ وَأَهْبَتَ—رَدَا
 هَذَا الْجَمَالُ الْغَضُّ ، يَا (بَرْدَى) ؟^(١)
 شَغَفَ الْفُؤَادَ سَنَسًا وَأَسْكَرَهُ ،
 فَلَأَنَسَابَ فِي مَرَّاهُ وَأَتَحَدَا .
 يَا دِينَ قَلْبِي ، وَالْهَوَى قَدَرُ !
 قَلْبِي أَحَبَّ ، وَنَاطِرِي رَصَدَا^(٢) !
 هَذَا مَطَافُ الْحُسْنِ ، مُفْتَرِبُ
 مِنِّي ، وَحِسِّي فِيهِ قَدْ بَعُدَا !
 وَ (دِمَشْقُ) خَضْرَاءُ مُنَوَّرَةٌ
 فَيَحَاءُ ، نَافِحَةُ الشَّدَا أَبَدَا
 نَفَسُ الْعَادَارَى ، مَا تُنَاسِمُهُ .
 أَشَمَمْتَ أَطْيَبَ مِنْهُ إِنْ مَادَا ؟^(٣)
 وَخَمَائِلُ رِيَا ، أَنْتَشْتِ ، وَزَهَاتِ
 بِهِجًا ، وَرَفَّ نَعِيمُهَا غَيَّادَا^(٤)

-
- (١) اخضل : ابتل ، وعيش مخضل : ناعم . — ابترد الماء : شرب الماء ليبرد كبده ، ومنه قول الشاعر :
 إذا وجدت أوار الحب في كبدي
 أقبلت نحو سقاء القوم ابترد
 الغض : الطري الناضر . — بردى : نهر دمشق .
- (٢) يادين قلبي من حبها : معناه ياداء قلبي القديم من حبها .
- (٣) ماد : اهتز .
- (٤) البهج : الفرح والسرور . — الغيد : لين الأعطاف والتثني .

وَأَطَايِبٌ ، يُعْطِيكَ لَيِّنُهَا

نُعْمَى الْحَيَاةِ هَنِيئَةً رَغَدًا

وَكَأَنَّمَا (بَرَدَى) بِسَلْسَلِهِ

عَسَلٌ وَصَهْبَاءٌ قَدِ ابْتَرَدَا (٥)

وَ (الرَّبُّوتَانِ) - وَإِنَّ حُسْنَهُمَا

مَا بَانَ عَنْ عَيْنِي ، وَإِنْ شَرَدَا - (٦)

بَابٌ إِلَى (الْفِرْدَوْسِ) ، تَحْتَهُمَا

(رِضْوَانُ) شَدَّدَ حَوْلَهُ الرَّصَدَا : (٧)

• • •

(الْغُوطَتَانِ) رُؤْيَى وَأُخْيَالَةً

وَنَعِيمٌ دُنْيَا مِنْ سَدَى وَنَدَى (٨)

جَمَعَ الْجَمَالَ لَدَى فَوَارِدِهَا

مَا كَانَ مِنْ أَنْوَاعِهِ بَدَدَا

ضَحِكَتْ وَجُوهُ فُتُونِهَا ، وَبَدَتْ

وَالْحُسْنَ فَوْقَ أَدِيمِهَا سَجَدَا

(٥) السلسل : الماء العذب . - الصهباء : الخمر .

(٦) بان : انفصل . - الربوة : تقوم على جبل قاسيون في قم وادي دمشق ، وهما ربوتان عن يمين وشمال .

(٧) الفردوس : حديقة في الجنة . - رضوان : خادم الجنة .

(٨) السدى : الشهد ، و - ندى الليل ، وهو حياة الزرع .

و (النَّيرْبَانِ) مَنَازِهِ ، رَقَصَصَتْ
 زَهْرًا ، وَغَنَّى طَيْرُهَا غَرْدًا^(٩)
 اللَّيْلُ فِيهَا : كُلُّهُ سَحَرٌ
 زَاهٍ ، وَسِحْرٌ يَخْلُبُ الْكَبِيدَا
 وَهُنَاكَ .. مَنْ يَعْشَقُ ، يَجِدُ صُورًا
 عَجَبًا ، تَعَالَى حُسْنُهَا صَعْدَا
 مَادَارَ فِي خَلْدٍ تَصَوُّرُهُ ،
 فَاقَ الْخَيَالَ ، وَجَازَهُ أَمْدَا !

• • •

نَاغَيْتُ (جَلَّقَ) عَاشِقًا بَلَدًا
 نَزَاهًا ، وَنَاسًا أَشْبَهُوا الْبَلَدَا !
 أَسْكَنْتُهُمْ - لِيَجْلَاهِمُ - خَلْدِي
 حُبًّا ، كَمَا أَسْكَنْتُهَا الْخَلْدَا^(١٠)

(٩) النيربان ، والنرب ، تذكر بالصفيتين : قرية مشهورة بدمشق ، على نصف فرسخ منها في وسط البساتين ، قال ياقوت : هي « انزه موضع رايته » ذكرها ابو المطاع وجيه الدولة بن حمدان في شعره بلفظ «النيربين» فقال :

سقى (الله) أرض (الفواطين) واهلها فما ذكرتها النفس الا استخفني وقد كان شكى للفراق يروعنني الخلد : البال ، والقلب ، والنفس .	فلي بجنوب (الفواطين) شجون الى برد ماء (النيربين) حنين فكيف يكون اليوم وهو يقين !
---	--

وَطَنُ السَّاءِ ، أَنَافَ سَاكِنُهُ

بِكَرَامَتَيْنِ : عُرُوبَةً وَهَدَى ! (١١)

جُذَّتْ يَدَا مَنْ سَامَهُ ضَرَرًا

وَأَسْتُؤْصِلَ الْأَرْحَامَ وَالْوَلَدَا (١٢)

* * *

أ (دِمَشْقُ) يَا أُخْتَ الضُّحَى وَهَجَا

ذَهَبًا ، وَيَا رِثْدَ الْعُلَى صَيِّدَا (١٣)

أَسْلِيلَةَ الْأَحْقَابِ ، وَارِثَةَ

زَهْوِ الْحِضَارَةِ جَلْوَةً وَرِدَا (١٤)

بِنْتَ الْعُرُوبَةِ ، نَبْتَ تَرْبَتِهَا

وَعَرِيْنَهَا الْمُتَأَشِّبَ الْأَسِيدَا (١٥)

- (غَسَّانُ) . . أَثَّلَ فِيكَ مَمْلَكَةً ،

غَنَى لَهَا (حَسَّانُ) وَأَحْتَشَّدَا (١٦)

(١١) السَّاءُ : الرفعة . - أَنَافَ عَلَى الشَّيْءِ : أَشْرَفَ .

(١٢) جُذَّتْ : قَطَعَتْ .

(١٣) الرِثْدُ : التُّرْبُ ، وَهُوَ مَنْ وَلَدَ مَعَكَ . - الصَّيْدُ : رَفَعَ الرَّاسَ كَبْرًا .

(١٤) الرِّدَا : مَقْصُورُ الرِّدَاءِ .

(١٥) الْمُتَأَشِّبُ : الْمُتَنَفِّسُ . - الْأَسَدُ : مَنْ قَوْلُهُمْ أَسَدُ الرَّجُلِ ، صَارَ كَالْأَسَدِ

فِي جُرَاتِهِ وَأَخْلَاقِهِ .

(١٦) غَسَّانُ : قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ مَشْهُورَةٌ ، أَثَّلَتْ ، أَيِ أَصْلَتْ ، فِي (الشَّامِ)

مَمْلَكَةً قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ الشُّعْرَاءُ يُؤْمِنُونَ بِرُؤْسَاءِهَا طَلِبًا لِرَفْدِهِمْ ، وَمِنْهُمْ

(حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْإِنصَارِيُّ) . .

كَبَرَاؤُهَا ، يَسْقُونَ مَنْ وَرَدُوا

صَقَفُوا الرَّحِيقَ مُمَارِجاً (بَرْدَى) (١٧)

وَعُلَاكِ فِي (الْإِسْلَام) : كُلُّ عُلَا

سَجَدَتْ لَهُ وَتَخَاوَصَتْ حَسَداً ! (١٨)

مُلْكٌ عَرِيضٌ . . شَدَّ (أُنْدَكُسا)

بِ (السِّندِ) مُحْتَشِدَاً وَمُتَّحِداً

وَجَحَافِلٌ فِي الْبَرِّ ، وَازِعَةٌ

نَزَوَ الْغُرَافُ وَمَنْ بَغَى وَعَدَا (١٩)

وَسَقَائِنٌ فِي الْبَحْرِ ، حَارِسَةٌ

حُرَمَ الثُّغُورِ ، طَوَالِغٌ مَدَّدا (٢٠)

أَصْبَحْتَ بِ (الْإِسْلَامِ) قَاعِدَةٌ

(لِلْمَشْرِقَيْنِ) ، وَمَوْئِلًا فَرَدَا

(١٧) تلميح الى قصيدة (حسان بن ثابت) في مدحهم ، ومنها قوله :

لله در عصابة نادمتهم يوماب (جلق) في الزمان الاول

اولاد (جفنة) حول قبر ابيهم قبر (ابن مارية) الكريم المفضل

يسقون من ورد (البريض) عليهم (بردى) يصفق بالرحيق السلسل

الرحيق : صفوة الخمر ، وفي التنزيل قوله تعالى : (من رحيق مختوم) ،

قال الزجاج : « الرحيق الشراب الذي لا غش فيه » . - والمختوم : الذي

لم يتبدل لأجل ختامه .

(١٨) التخاوض : أن يفيض الانسان من بصره شيئا ، وهو في ذلك يحدق

النظر ، كأنه يقوم قدحا « بكسر اوله وسكون ثانية » .

(١٩) الجحافل : جمع الجحفل ، وهو الجيش الكثير . - وازعة : اسم

فاعل ، من وزعه ، اذا كفه ، فاتزع هو : كف . - والوازع : الزاجر .

(٢٠) الثغور : جمع الثغر ، وهو مايلي دار الحروب ، وموضع المخافة من

فروج البلدان .

كُنْتُ (الثُّرَيَّا) ، وَالْوَرَى احْتَشَدُوا
 كَانُوا (الْفُرُودَ الزُّهْرَى) و (السُّعْدَا) (٢١)
 أَعْلَتْ (أُمَيَّةٌ) فِيكَ رَايَتَهُ
 شَمَاءَ تَحْسِرُ نَاطِرًا رَصَدَا
 وَحَوَيْتِهِ ، فَحَوَيْتِ جَوْهَرَةَ
 كَالْكَوْكَبِ الْوَهَّاجِ قَدْ وَقَدَا
 يَفْرِي الظَّلَامَ سَنَا تَأَلَّفَهُ
 وَيُحِيلُ مِثْلَ الصُّبْحِ مَا كَمَدَا (٢٢)
 وَيُرِي الْبَصَائِرَ ، إِذْ يُجَنَّبُهَا
 شَرَّ الْعِشَارِ ، طَرِيقَهَا الْجَدَّادَا (٢٣)
 أَطْلَعَتْهُ شَمْسًا عَلَى أُمَمٍ
 غَشَى الظَّلَامُ عُيُونَهَا رَمَدَا
 عَلَّمَتْهَا مَا لَيْسَ تَعْلَمُهُ
 وَحَبَوَيْتُهَا الْإِيمَانَ وَالرَّشَدَا

(٢١) الفرد : النجوم الفرد ، وهي كواكب زاهرة حول (الثريا) ، قراها
 (المستشرقون) « القُرود » بالقاف ، فصارت « النجوم القُرود »
 وترجموها كذلك (monkeis) أي القُرود . - السعد : سعد النجوم ،
 وهي الكواكب التي يقال لكل منها : سعد كذا ، وهي عشرة ، سعد بلع ،
 وسعد الأخبية ، وسعد الذابح ، وسعد السعود - وهذه الأربعة ينزل بها
 القمر ، والستة الباقية لا ينزل بها .

(٢٢) يفري : يشق . - يحيل : يحول ويغير . - كمد اللون : تغير ، وذهب
 صفاؤه ، وبقي أثره .

(٢٣) الجدد : الأرض المستوية ، وفي المثل : « من سلك الجدد امن العثار » ،
 يريد : من سلك طريق الاجماع ، فكنى عنه بالجدد .

وَرَزِمْتِهَا عَطْفًا وَمَرْحَمَةً
 رَأْمَ الثَّوَاكِيلِ تُرْضِعُ الْوَلَدَا (٢٤)
 وَهَدَيْتِ دَانِيَهُمْ وَقَاصِيَهُمْ
 فَسَمَوْا مَعَالِيَّ وَارْتَقَوْا سُدَدَا (٢٥)
 نَعِمُوا ، وَكَانُوا فِي ضَلَالَتِهِمْ
 عُمِّي الْقُلُوبِ مَعَاشِرًا بِدَا
 بَادِينَ فِي تِيهَاءِ مُظْلِمَةٍ
 فِي رَذَلِ عَيْشٍ جَاوَزَ الْأَمَدَا (٢٦)
 مَنْ دَانَ لِلْأَضْنَامِ يَغْبُدُهَا
 وَجَهَا ، وَمَنْ لِلنَّارِ قَدْ سَجَدَا

• • •

تَابَعْتَ (طَيِّبَةً) سُنَّةَ وَهْدَى ،
 وَالْخَيْرُ مَا سَنَّتَهُ وَأَمْتَهَدَا (٢٧)
 (أَمُّ الْخِلَافَةِ) ، أَصْلُ دَوْحَتِهَا
 طَابَتْ وَطَابَ بِهَا الْوَرَى رَغَدَا (٢٨)

-
- (٢٤) رُئِمَ الشَّيْءُ : أَحْبَبَهُ ، وَرُئِمَتِ الْأُمُّ وَلَدَهَا : عَطَفَتْ عَلَيْهِ ، وَلَزِمَتْهُ
 - الثَّوَاكِلُ : جَمْعُ الثَّالِكَةِ ، وَهِيَ مَنْ فَقَدَتِ الْحَبِيبَ أَوْ الْوَلَدَ .
 (٢٥) السُّدَدُ : جَمْعُ السَّدَةِ ، وَهِيَ بَابُ الدَّارِ ، يُقَالُ : غَشِيَتْ سَدَةَ فُلَانٍ ،
 قَالَ الشَّاعِرُ :
 تَرَى الْوَفُودَ قِيَامًا عِنْدَ سَدَّتِهِ يَغْشَوْنَ بَابَ مَزُورٍ غَيْرِ زَوَارٍ
 (٢٦) بَدَأَ الْقَوْمُ بَدَأً : خَرَجُوا إِلَى الْبَادِيَةِ ، وَقَوْمٌ بَدَاوِيٌّ وَبَدَاوِيٌّ : بَادُونَ .
 - التِّيْهَاءُ : الْأَرْضُ الَّتِي لَا يَهْتَدِي فِيهَا ، وَفَلَاةٌ تِيْهَاءٌ : مُضَلَّةٌ يَتِيْهِ فِيهَا
 الْإِنْسَانُ . - الْأَمَدُ : الْغَايَةُ كَالْمَدَى .
 (٢٧) طَيِّبَةٌ : الْمَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ الْمُنُورَةُ . - أَمْتَهَدَ : انْبَسَطَ وَارْتَفَعَ .
 (٢٨) الدَّوْحَةُ : الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ .

لَوْ لَا خِلَافَتُهُمَا وَسِيرَتُهُمَا
 مَا قَامَ مُلْكُكَ بِسَطَّةٍ وَيَدَا
 مِنْ رَحْمَةِ (الرَّحْمَانِ) مَا نَفَحَتْ ،
 يَا طِيبَ مَا نَفَحَتْ ، وَمَا وَقَدَا !
 كَرَوَائِحِ (الْفِرْدَوْسِ) نَاشِرَةً
 طِيباً ، وَعَاقِبَ سَوَسَنِ ، وَنَدَى (٢٩)
 نَغْدُو عَلَى ذَاوِ فَتُنْعِشُهُ
 وَتَرْبُ مَا أَلْوَى وَمَا هَمَدَا (٣٠)
 أَوْحَتْ ، فَسَطَّرَتْ الْهَدَى سِيرَا
 وَشَيْتَ طِرَازَا ، وَأَزْدَهَتْ بُرْدَا (٣١)

* * *

(تَارِيخُكَ الْمَيْمُونُ) ، مَخْبَرُهُ
 أَصْبَى هَوَايَ إِلَيْكَ ، وَأَعْتَبَدَا (٣٢)
 يَتَرَنَّجُ (الْعَرَبِيُّ) قَارِئُهُ
 طَرَبَا ، وَتَسْمُو نَفْسُهُ صُعْدَا
 يُوحِي إِلَى الْأَبْنَاءِ مَا سَطَّرَتْ
 أَنْبَاؤُهُ الْعَزَمَاتِ وَالْجَلَدَا

-
- (٢٩) الشبم : البارد . - الخضل : الندي المبتل .
 (٣٠) ترب : تصلح وتنمي . - ألوى : ذوي . - همد : سكن .
 (٣١) البرد : جمع البردة ، نوع من الأكسية .
 (٣٢) أصباه : شاقه . - أعتبده : اتخذه عبداً .

مَجْدٌ عَلَى الْآيَامِ .. لَوْ وَزَّتُوا
 مَجْدَ الْآيَامِ بِيَعْضِهِ ، مَجْدًا (٣٣) !
 أَلَوْتُ بِهِ الْأَعْدَاءُ ، غَيْرَ سَنًا
 ذِكْرٍ ، كَلَّاءِ الضُّحَى ، خَلَدًا (٣٤)
 هَلْ يُسْتَعَادُ جَلَالُ سُدَّتِيهِ ؟
 حُضِّي الْبَنِينَ عَلَيْهِ وَالْحَفْدَا (٣٥)
 نَسْتَعْدِبُ الذِّكْرَى ، وَلَيْسَ بِنَا
 فَخْرٌ ، لِنَبْعَتٍ وَإِنِّيَا قَعْدَا !



(٣٣) مجده : غلبه في المجد ، يقال : ماجده مجادا ، عارضه بالمجد ،
 وماجده فمجده امجده ، أي : غلبته بالمجد .
 (٣٤) ألوت به : ذهبت به .
 (٣٥) الحفدا : مقصور الحفداء ، واحدها حفيد ، وهو ولد الولد .

ربوة دمشق

هَلْ نَحْنُ فِي حُلُمٍ مِّنْ عَيْشِنَا الرِّقْلِ ؟ (١)

نَسَاحُ إِيَّيْ شَبِيمٍ مِنْهُ ، وَفِي خَضِرِ الْقَلِ (٢)

طَافَتْ بِنَا غُرَرٌ كَأَنَّهَا سُرُجُ (٣)

تَزِينُهَا طُرَرٌ كَأَنَّهَا سَبِجُ (٤)

مِنْ كُلِّ شَائِقَةٍ تُغَرِّى بِهَا الْمُقَلُّ

بَيَضَاءِ رَائِقَةٍ يَحْلُو بِهَا الْغَزَلُ

نَغْدُو عَلَى نَغَمٍ يَلْدُ كَالْقَبَلِ

حُلُوٍ وَمُنْسَجِمٍ كَأَنَّهُ غَزَلِي

فِي رَوْضَةِ أَنْفٍ تَعِجُ بِالزَّهَرِ (٥)

تَقُوحُ فِي لَطْفٍ عَنْ فَاغِيمٍ عَطِيرِ (٦)

- (١) الرقْل : العيش الواسع السابغ .
 (٢) الشبم : البارد . - الخضل : الندي المبتل .
 (٣) الغرر : الوجوه الوضاء .
 (٤) الطرر : جمع الطرة ، وهي ما تطره المرأة من الشعر الموفي على جبهتها وتصففه . - السبج : جمع السبجة ، بالضم ، وكذلك السبيجة ، وهي كساء اسود ، والمراد بها لونها .
 (٥) روضة أنف : جديدة ، لم ترع من قبل .
 (٦) اللطف ، بفتحين : كاللطف بالضم والسكون ، وهو الرفق . - فاغيم : مالىء الأنوف برائحته الطيبة .

كَأَنَّ جَدَوْلَهَا مِنْ طِيْبِهِ عَسَلُ
كَأَنَّ بُلْبُلَهَا مِنْ خَمْرِهِ ثَمِلُ

قَامَتْ عَلَى جَبَلٍ بِالْحُسْنِ مُنْتَطِقُ
مِنْ يَانِعٍ خَضِرٍ أَوْ زَاهِرٍ أُنِيقِ (٧)

أَيَّامُهَا جُدُدٌ يَحْفُهَا الطَّارِبُ
كَأَنَّهَا خُرْدٌ فِي حُسْنِهَا ، عُرْبُ (٨)

شَاقَ الْأَصِيلُ بِهَا وَأَسْتَضْحَكَ الشَّقَقُ (٩)
كَأَنَّ مَغْرِبَهَا تَبْدُو بِهِ (الشَّرْقُ) (١٠)

مَنْ لِي بِهَا مُتَعَا تَدُومُ لَذَّتْهَا ؟
لَا جُزْنَ بِي لُمَعَا تَغِيْبُ لَمَحْتُهَا !

- * * -

(٧) اليانع : الثمر الناضج .

(٨) الخرد : جمع خرود ، وهي المرأة الحبيبة ، والبكر لم تمس . - العرب : جمع عروب ، وهي المتجبة الى زوجها .

(٩) الأصيل : الوقت حين تصفر الشمس لمغربها .

(١٠) الشرق ، بفتحين : الشمس .

النيل . . من وحي صورة

حَبِيتَنِي بِالْمَنْظَرِ الْفَتَّانِ
فَهَزَزْتَ نَفْسِي ، وَأَسْتَشْرْتَ يَا نِي
مَا كَانَ أَبْدَعَ مَا أَصْطَفَيْتَ لِنَظِيرِي !
سُبْحَانَ بَارِي الْحُسْنِ فِي الْأَكْوَانِ !

* * *

(النيلُ) يَخْتَرِقُ الْخَمَائِلَ سَادِرًا
فِي كِبَرٍ مَرْمُوقِ الْجَلَالِ مُعَانٍ (١)
مُتَأَلِّقُ الْأَوْضَاحِ . . تَحْسَبُ وَجْهَهُ
قَسَمَاتِ الْأَبْلَجِ عَبْقَرِيَّ الشَّانِ (٢)
تَزْهُو بِزِينَتِهِ الْبِقَاعُ وَوَشْيُهُ
زَهْوُ الرَّيِّعِ بِحُسْنِهِ الْفَتَّانِ
مُتَدَفِّقٌ ، مُتَدَفِّعٌ ، مُتَمَوِّجٌ ،
مُتَكَسِّرٌ ، مُتَعَرِّجٌ الشُّطْرَانِ

* * *

- (١) سادر : ذاهب لا يثنيه شيء .
(٢) الأوضاح : الأضواء . - الأبلج : من بعد ما بين حاجبيه ، ومن تنضر
وجهه سرورا ، كنى به عن الشريف . - قسماته : ملامح وجهه .

وَالْفُلُكُ بِالْشُرْعِ الْحِسانِ ، تَخَالُهَا
 زُمَرَ الطُّيُورِ تَهُمُّ بِالطَّيْرَانِ
 يَسْلُكُنَّهُ حِيناً صَوَاعِدَ عَكْسَهُ
 وَحَوَادِرَ حِيناً مَعَ الْجَرَيَانِ
 وَكَأَنَّمَا الشُّرْعُ الْحِسانُ حَوَانِيَا
 أَكْبَادُ عُشَاقٍ ، تَرِقُّ ، حَوَانِي
 وَكَأَنَّمَا رَعَشَاتُهُنَّ خَوَافِقَا
 رَعَشَاتُ قَلْبٍ دَائِبِ الْخَفَقَانِ

* * *

وَالنَّخْلُ فِي الشَّطِّينِ ، شِبْهُ عَرَائِسٍ
 يَزْهُو هُنَاكَ بِحُسْنِهَا الشَّطَّانِ
 قَامَتْ تَنَاجَى كَالْأَوَانِسِ مَوْقِفَا
 فِي مَجْمَعِ السَّمَرِ اللَّطِيفِ الْهَانِي (٣)
 هَلْ بَيْنَ نَخْلِ الشَّاطِئِينَ تَغَاوُلٌ
 كَتَغَاوُلِ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانِ ؟
 طَالَ الْوُقُوفُ . . فَمَا التَّنَاجِي يَنْتَهِي
 حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَهَا الْمَلَوَانِ (٤)

* * *

(٣) تناجى : تتناجى : حذفت تاء المضارع منه ، وهو قياس في العربية .

(٤) الملوان : الليل والنهار .

وعلى حِفافِ النَّهْرِ ، أَوْفَتْ كَالدَّمَى

خَوْدَانٍ .. تَحْتَ النَّخْلِ تَسْتَقِيَانِ (٥)

لِإِحْدَاهُمَا .. فِي الْمَاءِ تَغْمِسُ جَرَّةً

بِأَرَقٍ كَفَ رَخْصَةٍ وَبَنَانٍ (٦)

مَدَّتْ بِهِ سَاقًا ، وَمَالَتْ فَوْقَهَا

كَالْأُمِّ تُرْضِعُ طِفْلَهَا بِيَحْنَانٍ !

وَحِيَالُهَا الْأُخْرَى .. قَدَيْتُ وَقَارَهَا !

تَطَأُ الثَّرَى بِتَرْفُقٍ وَلَيَانٍ

صَدَرَتْ بِجَرَّتِهَا ، وَقَدْ عَطَقَتْ لَهَا

جِدًّا أَتَيْلَعُ .. شِبْهَ ظَنِّي الْبَانِ (٧)

كِلْتَاهُمَا ظَمَأَى الْوِشَاحِ ، وَإِنَّمَا

تَرَوَى بَغْضٌ جَمَالِهَا الْعَيْنَانِ (٨)

* * *

هُوَ مَشْهَدٌ فِي الْعَيْنِ ، يَبْعَثُ رَوْعَةً

لَا كِنَّ لَهُ فِي الْقَلْبِ وَخْزٌ طَعَانٍ !

(٥) حفاف النهر : جوانبه . - الدمى : الصور المثلثة في العاج وغيره ،

يضرب بها المثل في الحسن . - الخود : الشابة الناعمة الحسنة الخلق .

(٦) كف رخصة : ناعمة لينة . - البنان : الأصابع ، أو أطرافها .

(٧) جيد أطلع : عنق طويل ، وأتيلع : تصغير أطلع . - البان : ضرب من

الشجر سبط القوام لين ، تشبه به الحسان في الاعتدال واللين .

(٨) ظمأى الوشاح : هيفاء دقيقة الخصر ، والظمأى : العطشى . - الوشاح :

نسيج تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . - الغض : الطري الناضر .

مَنْ لِلْقَوَارِيرِ اللَّطَافِ .. يَصُونُهَا

فِي الشَّرْقِ مِنْ عَنَتٍ وَمِنْ إِهْوَانٍ ؟

وإِلَامَ . . هَذَا الشَّرْقُ يَضْنِي أَهْلُهُ

وَيَعِيشُ فِي شَطَفٍ وَفِي حِرْمَانٍ ؟ (٩)

لَاعْذَرَ لِلْمَكَلِ الْأُلَى قَدْ أَتَرَفُوا

حَتَّى يُفَيْضُوا الْعَظِيمَ فِي الْأَوْطَانِ !

وَلَقَدْ أَثَارَتْ مِنْ شُجُونِي قَرِيْبَةً

قَامَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَحَلِّ السَّادَانِي

تَرْنُو إِلَيْهِ مَسَاكِينًا وَمَنَافِيْدًا

نَظَرَ (الْمَجُوسِ) مَوَاقِدَ النَّيْرَانِ

لَيْسَتْ بِبَاذِيخَةِ الذَّرَا ، لَا كِنَافِهَا

هِيَ أَصْلُ كُلِّ بَوَاذِيخِ الْعُمُرَانِ (١٠)

حَمَلْتُ إِلَى أَهْلِ الْحَضَارَةِ يُمْنَهَا

وَهُمَا ، عَلَى طُولِ الْمَدَى ، صِنَوَانِ (١١)

بَرَّتْ ، وَعَقَّوْهَا . وَأَوَّهْمُ أَنْصَقُوا

لَا سَتَقْبَلُوا الْإِحْسَانَ بِالْإِحْسَانِ

يَا لَيْتَ لِي فِيهَا هُنَاكَ دَارَةً

تَنَآيَ بِنَفْسِي عَنْ هُمُومِ زَمَانِي (١٢)

(٩) يَضْنِي : يمرض وينهل جسمه . - الشَطَف : الشدة والضيق .

(١٠) بَاذِيخَة : عالية بائنة العلو .

(١١) الصنو : الأخ الشقيق ، والنظير ، والمثل . (١٢) تنأى : تبعد .

أَرَعَى ، لَمَّا طَلَعَ النَّهَارُ ، سَوَائِمِي
فِيهَا ، وَلَا أَرَعَى بَنِي الْإِنْسَانِ !
أَعْدُو لِي « الْغَيْطِ » ، النَجْمِيلِ مُبَكَّرًا
وَأَرْوَحُ مِنْهُ بِرَاحَةٍ وَأَمَانٍ (١٣)
« مَتَابَتِي » ، بِفَمِي ، تُذِيعُ مَحَبَّتِي
وَتَجِيءُ لِي بِالْأُنْسِ وَالسَّلْوَانِ (١٤)
وَلَمَّا الدُّجَى جَنَّ الْأَنَامَ ظِلَامُهُ
وَأَوَّأَ ، أَوَيْتُ لِي جَنِيبَ مَكَانِي (١٥)
مُتَهَجِّدًا (لِللَّهِ) . . حَتَّى أَرْتَوِي
أُنْسًا ، وَيَقْنَى فِي بَهَاهُ كِيَانِي
وَأَجِيءُ خَلْقًا لَا تَنَافَرَ بَيْنَهُمْ
غُسِلَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ الْأَضْغَانِ (١٦)
مَالِي وَلِلْعَيْشِ الْمُعَقَّدِ فِي السُّورَى ؟
مَاذَا جَنَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ الْفَانِي ؟
أَبْنَ الثَّلَاثُونَ الَّتِي أَسْلَفْتُهَا
لِلدَّيْنِ ، وَالدُّنْيَا ، وَلِلْأَوْطَانِ ؟

- (١٣) الْغَيْطُ : يَطْلُقُهُ أَهْلُ مِصْرَ عَلَى الْأَرْضِ الصَّالِحَةِ لِلزَّرْعِ ، وَاصِلُهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْمَطْمَنُ الْوَاسِعُ مِنَ الْأَرْضِ .
(١٤) الشَّبَابَةُ : قِصَّةُ الزَّمَرِ ، « مَوْلِدَةٌ » .
(١٥) جَنَّ الْأَنَامُ : سَتَرَهُمْ بِظِلَامِهِ . - جَنِيبُ : مُتَبَاعِدٌ كَالْغَرِيبِ .
(١٦) الْأَضْغَانُ : الْأَحْقَادُ الشَّدِيدَةُ .

ذَهَبَتْ كَأَمْسٍ ، وَأَنْكَرُوا عِرْفَانَهَا !

أَتَرَى الْجَهَالَةَ غَايَةَ الْعِرْفَانِ ؟ !

كَانَتْ عَوَاقِبُهَا الَّتِي أَذْرَكَتْهَا

ظَلَمَ السُّجُونِ ، وَشَقِوَةَ الْحَرَمَانِ !

وَجَنِّيتُ مِنْ وَدٍّ غَرَسْتُ نَبَاتَهُ

مَا بَاتَ يَجْنِي غَارِسُ الشَّنَنِ (١٧)

وَلَطَامَنَا مَذَقَ الْوِدَادِ مُنَافِقٌ

وَأَسَرَّ لِي كَيْدَ الْعَدُوِّ الشَّانِي (١٨)

وَعَشِيرِ أَزْمَانٍ . . صَدَقْتُ وِدَادَهُ ،

قَدْ كَانَ أَسْبَقَ مَنْ بَغَى فَرَمَانِي !

قَدْ حِرْتُ ، لَوْ نَفَعَتْ حَيَاتِي حَيْرَتِي !

مَا أَوْلَعَ الْإِنْسَانَ بِالْعُدْوَانِ !

وَعَلَامَ يَفْتَتِلُ الْأَنَامُ ، وَكُلُّهُمْ

فَانٍ ، وَكُلُّ وُجُودٍ شَيْءٌ فَانِي ؟

أَصْبَحْتُ أَغْبِطُ رَاعِيًا فِي مُخْضَبِ

يَقْضِي الْحَيَاةَ مُرَافِقَ الْحَيَوَانِ !

لَمْ يَدْرِ مَا الدُّنْيَا ، وَمَا أَوْطَارُهَا

فِي الْعَيْشِ مِنْ وَصْلٍ وَمِنْ هِجْرَانٍ (١٩)

قَبَّلَ الْمَتَاعِبَ بِالسُّلُوكِ عَنْ السُّوَرَى ،

وَأَصَابَ مِنْهَا الرِّيحَ فِي الْخُسْرَانِ !

١٩٤٥ م

(١٧) الشَّنَان : البغض الشديد .

(١٨) مذاق الود : شابه ولم يخلصه . - الشاني : الثاني ، وهو الشديد البغض .

(١٩) الأوطار : جمع لوطر ، وهو الحاجة فيها مأرب وهمة .

المغرب العربي ..

وطن الجمال وأمة الجلال

« زار صاحب الديوان (المغرب العربي) في عام ١٩٦٠ لاولل عهد استقلاله ، ملبياً دعوة (حكومته) اياه لحضور الاحتفال بمرور احد عشر قرناً على انشاء (القرويين) .. فشاهد فيه من جمال الطبيعة حيث طاف وسلك ما أعجبه واستولى على مجامع قلبه ، فأجبه .. وأحب دماثة اهليه ، وذوقهم الحضاري الانيق ، وحصافة علمائه وأدبائه وساسته ، وحفاظهم على تراث العروبة لغة وأدباً وفناً ، واستمسكهم بعروة الاسلام الصحيح عقيدة جامعة ووحدة بريئة من أهواء اصحاب الأهواء .

وفي عام ١٩٨٠ تلقى من لدن ملكه العالم الموفق أمير المؤمنين (الحسن الثاني) كتاباً كريماً ، يشعره فيه بثقته به وابعامه مقترح انتخابه عضواً ممثلاً للعراق في (الاكاديمية) ، التي انشأها مناراً للثقافات والآداب والعلوم ، تشارك فيها العلية من علماء دول العالم . ومن هذين العاملين المؤثرين البليغين ، انبثقت هذه القصيدة ، تعبر عن احساسيس ناسج بردها ومحبرها صادقاً ومخلصاً . وقد أنشدها في ندوة (الاكاديمية) ، في (الرباط) : عاصمة المملكة المغربية ، في حضوره الاول الذي تسنى له ، في خريف عام ١٩٨١ .. وترجم معانيها المترجمون في ساعة انشادها الى الانكليزية ، والفرنسية ، والاسبانية ، وأذاعتها (الاذاعة المسموعة) ، ثم أعادت اذاعتها مراراً من بعد »

حَيِّ السَّنَا ، وَالشَّذَا ، وَالْحُسْنَ ، وَالرَّعْدَا
 تَبَارَكَ (اللهُ) ! كَمْ أَسْنَى ! وَكَمْ رَقْدَا ! (١)
 هَلَلْتُ لِلْأَفْقِ الْوَرْدِي ، مُكْتَنَفَا
 بِأَخْضَرَيْنِ .. لَدَى شُطْآنِهِ أَنْحَدَا (٢)
 شِعْرًا ، وَالثَّوَانُ أَطْبَافٍ ، وَأَخْيِلَةً
 كَأَنَّهَا حُلْمٌ بِالْعَيْنِ قَدْ رَقْدَا
 لَمْ أَدْرِ .. هَلْ مِنْ خُدُودِ الْغَيْدِ رَوْنَقُهُ
 وَقَدْ زَهَا ، وَصَفَا ، وَاهْتَلَّ ، وَابْتَرَدَا ؟ (٣)
 أَمْ مِنْهُ تِلْكَ الْخُدُودُ الزُّهْرُ قَدْ سَرَقَتْ
 لَأَلَاءِهَا الْوَرْدَ ، وَالْمَاءَ الَّذِي أَطْرَدَا ؟
 جُنْتُ بِهِ الْقُبَّةُ الزَّرْقَاءُ ، فَأَتَلَقَّتْ :
 شَقَّتْ ، وَرَقَّتْ كَقَلْبِ الْعَاشِقِ أَرْتَعَدَا
 مَسْحُورَةً .. وَهِيَ لِلْأَبْصَارِ سَاحِرَةٌ ،
 مَا خُوذَةٌ .. وَرَوَّاهَا يَخْلُبُ الْكَبِيدَا ! (٤)

-
- (١) اسنى الشيء : جعله ذا سناء ، والسناء (بالمد) : الرفعة . - والنسار ونحوها : رفع سناها وضوءها . - رقد : أعطى .
 (٢) مكتنف : محاط . - الاخضران : البحر المتوسط والمحيط الاطلنطي .
 (٣) اهتل : تلالا .
 (٤) رَوَّاهَا : رَوَّاهَا ، قصر للوزن . والرواء : مهموز وغير مهموز ، وهو حسن المنظر في البهاء والجمال .

تَزْدَانُ بِالنَّيِّرَاتِ الزُّهْرَ حَالِيَّةً
 كالرَّوْضِ . . أَشْرَقَ فِيهِ الزُّهْرُ وَأَتَقَدَا
 أعْجَبَ بِسَاحِرَةٍ ، تَرْتَدُّ - مِنْ دَهْشٍ -
 مَسْحُورَةً اللَّبَّ . لَا وَهْمًا ، وَلَا فَنَدًا (٥)
 كَأَنَّهَا أَخَذَتْ لَمَّا رَنَتْ ، فَسَرَاتٍ
 أَفْقًا - تَأَلَّقَ فِي أَعْطَافِهِ - فَرَدَا (٦)
 خِمِيلَةً طَلَّةً خَضْرَاءَ . . شَعَشَعَهَا
 مِنْ حَالِيَّةِ الشَّمْسِ يَبْرُ فَوْقَهَا سَجْدًا (٧)

* * *

قالوا : هُوَ (الْمَغْرِبُ الْأَقْصَى) . فَوَاعَجَبَا !
 أَمْغْرَبُ . . وَسَنَاهُ سَاطِعٌ أَبَدًا ! ؟
 وَلَيْسَ يَغْرُبُ فِيهِ ضَوْؤُ شَارِقَةٍ ،
 وَأَفْقُهُ مَشْرِقُ (الْبَدْرِ) الَّذِي وَقَدَا
 وَ (الشَّمْسُ) تَجْرِي إِلَيْهِ فِي تَقَلُّبِهَا
 وَلَهَى . . قَدْ أَلْتَهَبَتْ مِنْ شَوْقِهَا صَخَدًا (٨)
 تَلْقَى عَلَيْهِ أَخَاهَا (الْبَدْرَ) شَيْقَةً
 وَيَلْتَقِي ضَوْؤُهُ أَنْوَارَهَا أَفِيدًا (٩)
 أَعْرَاسُ ضَوْؤِ وَحُسْنٍ ثَمَّ رَاقِصَةٌ
 تُذَكِّي الهوى ، وَتُزَكِّي الرُّوحَ وَالْجَسَدَا

(٥) الغند : الكلب .

(٦) فرد ، بفتح أوله وثانيه : منفرد عن غيره بروعته .

(٧) طلة : بلها الطل . - شعشعها : مرجها . - التبر : الذهب .

(٨) الولهى : الحانة . - الصخذ : اشتداد الحرارة .

(٩) الشيقة : المشتاقة . - افد ، كفرح : عجل ، وأسرع . فهو افد .

النَّبِيَّتُ فِي طَيْبٍ (أَهْلِيهِ) - وَقَدْ كَرُمُوا -

نَفَحَ الشَّدَا ، وَرَقِيفَ الْوَرْدِ ، وَالْمَطَلَا (١٠)
حُسْنُ الطَّيِّبَةِ ... يُذَكِّي فِي مُسَاكِنِهِ

حَسَّ النِّجْمَالِ ، وَيُوحِي الطُّفَّ وَالغَيْدَا (١١)
لَانُوا . . وَلَا كِنْ إِذَا الْجَلَّى دَعَتْ ، خَشْنُوا

كَأَخْضَرَ الْعُودِ ، ضَمَّ النَّارَ وَالْجَمَدَا (١٢)
بَنُو بَنَاءِ الْمَعَالِي مِنْ عِبَاقِ—رَةِ

طِمَاحُهُمْ بِمِرَاقِي الشَّمْسِ قَدْ عَقِدَا
لَا يَرْضُدُ الطَّرْفُ مِنْهُمْ دُونَ حَاجِبِيهَا ،

بَلَى . . وَيَرْضُدُ أَنَايَ مِنْهُ مُرْتَصِدَا
الشَّائِدِينَ قِبَابَ (الْحَقِّ) عَالِيَةِ

مَرْصُوصَةِ أُسُسَا ، مَرْفُوعَةِ عَمَدَا
الترَافِعِينَ طِرَافَ (الْعَدْلِ) مُنْسَمِكَا

مُسْتَشْرِفَا طُنْفَا ، مُسْتَحْكِمَا زَرَدَا (١٣)
الْهَاتِفِينَ بِقُدْسِ (الْحُبِّ) وَاشْجَعَا

وَبِ (الْمُؤَاخَاةِ) لِإِيمَانَا وَمُعْتَقَدَا (١٤)
سَادُوا . . وَقَدْ وَسِعُوا الدُّنْيَا مُوَادَعَا ،

وَالْحُرُّ . . مَنْ يَسَعُ الْأَحْرَارَ وَالْعُبْدَا (١٥)

(١٠) اللد ، بفتح أوله وثانيه : الاهتزاز من النعمة (بفتح النون) ، وهي الترفه .

(١١) الغيد : بفتح أوله وثانيه : التمايل من اللطف ولين الجانب .

(١٢) الجلى : الأمر العظيم ، - الجمد : ما جمد من الماء .

(١٣) الطراف : البيت من آدم . - منسك : رفيع السمك ، وهو السقف ، - الطنف : السقيفة .

(١٤) الواشجة : الرجم الشبكية المتصلة . (١٥) العبد : بضمين : العبيد .

حِصَارَةُ الرُّوحِ وَالْأَخْلَاقِ ، مَا أَعْتَقَدُوا :
تَعَشَّفُوهَا ، فَأَوَّلُوهَا هَوًى وَيَدَا
هَامُوا ، وَمَا وَهَمُوا ، فِي حُبِّهَا شَغَفًا .
وَلَمِنْ غَلَوَا ، فَبِمَا أُعْطِيَ الْمَلَأَ رَغْدَا
دَقُّوا بِشَائِرِهَا فِي الْأَرْضِ ، وَاحْتَمَلُوا
رَايَاتِهَا ، وَمَشَوْا نَحْوَ الْعُلَا صُعْدَا
مُسْتَشْرِفِينَ التَّقَاءَ الْخَلْقِ فِي سَلَمٍ
وَنَاشِدِينَ جَلَالَ الْمَجْدِ وَالسُّدَدَا

• • •

سَلِ (الزُّفَاقَ) ، وَأَعْظِمُ بِاللَّيْذِي شَهِيدَا !
كَيْفَ اسْتَجَاشُوا عَلَى أَثْبَاجِهِ حُشْدَا ؟ (١٦)
وَ (صَخْرَةً) . . جَثَمَتْ شَمَاءَ عَاتِيَةً ،
وَفُلُوكُ (طَارِقَ) تَنْحُو شَطْرَهَا سَرَدَا (١٧)
قَامَتْ هُنَاكَ حُدَيَا مَنْ يُرَاوِدُهَا
فَرَعَاءَ ، تَرْعُبُ خَصْمًا قَاحِمًا قَصَدَا (١٨)
فَطَامَنْتَ لِعِلَالِهِمْ غَيْرَ آبِيَّةٍ ،
وَلَا مُعَاجِزَةٍ مِنْ جُنْدِهِ أَحَدَا
لَمْ تَحْمِ (لَذِيقَ) مِنْهُمْ فِي مُنَاجِزَةٍ ،
بَلَى ! وَأَرْهَبَهَا لِقْيَانُهُمْ أَسَدَا (١٩)

-
- (١٦) الزفاق : مضيق جبل طارق . - الأثباج : جمع الشبح (بفتحتين) ، وهو وسط البحر .
(١٧) الصخرة : جبل طارق . - الفلك : السفن . - طارق : طارق بن زياد قائد العبور إلى الأندلس .
(١٨) حديا : معارضة . - فرعاء : مرتفعة . - قاحم : رام بنفسه في عزيمة .
(١٩) لذريق : هو (Rodriga) القائد الفوطي الذي هزمه المسلمون .

سَلْ بَعْدُ (أَنْدَلُسُ) : مَاذَا أَتَوْا وَبَنَوْا ؟

فَهَلْ أَتَوْا ثَمَّ إِلَّا رَمَّ مَا فَسَدَا ؟
وَهَلْ بَنَوْا غَيْرَ أَمْلاكٍ وَمَمْلَكَةٍ
طَالَتْ عَلَى الدَّهْرِ سُلْطَانًا وَمُلْتَحَدًا ؟ (٢٠)
وَدَوْلَةً ، كَجَلَالِ الشَّمْسِ ، عَالِيَةٍ
لَأُلوَاهَا ضَوْأُ الْآفَاقِ ، وَأَمْتَهَدَا (٢١)

وَأُمَّةٍ حَقَّتْ بِالْعِلْمِ ، وَأَسْتَبَقَتْ :
يَدُ تَشِيدُ ، وَأُخْرَى تَعْدِلُ الْأَوْدَا (٢٢)
إِنْسَانُهَا أُمَّةٌ فِي نَفْسِهِ عِظَمًا :
يَأْتِي الْجَلَالُ إِبْدَاعًا إِذَا نَهَدَا
تَحْفَى الْبِرَاعَةُ تَدْبِيحًا وَتَوْشِيَةً
لَهَا ، وَتُعْجِزُهَا أَنْ تَبْلُغَ الْأَمَدَا
أَكْبَرُ بِمَا أَثَلَّتْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عِظَمِ
مِمَّا أَسْتَعَزَّ عَلَى الدُّنْيَا ، وَمَا خَلَدَا ! (٢٣)

• • •

قَدْ صَاغَتْ (الْعَرَبُ) الْإِنْسَانَ جَوْهَرَةً
تَشِعُّ . . لَا كَيْنَ بِنُورِ (اللَّهِ) وَالرَّشْدَى (٢٤)
صَقَّتْهُ نَفْسًا فَأَذْكَتْ مِنْ عَزَائِمِهِ ،
وَكَانَ يَشْقَى ، فَأَحْيَيْتُهُ وَقَدْ سَعِيدَا

(٢٠) الملّحد : الملجأ .

(٢١) امتهد : انبسط وارتفع .

(٢٢) الأود : الأعوجاج .

(٢٣) نهّد : نهض ومضى .

(٢٤) الرشدى : بالالف المقصورة : اسم للرشاد .

وَحَرَّرْتَهُ فَأَخْلَتْ شَانَهُ كَيْبَرًا ،
وكان عَبْدًا فَأَضْحَى السَّيِّدَ السَّنْدَا

* * *

ماذا أفاء على (الإنسان) غَيْرُهُمْ
غَيْرَ الدَّمَارِ الَّذِي شَتَّ الْوَرَى بَدَا (٢٥)
وما أفادَ (بَنُو الرُّجْعَى) شُعُوبَهُمْ

وَالنَّاسَ ، وَالْعَيْشَ ، وَالْأَرْحَامَ ، وَالْبَلَدَا ؟
مِنْونَ مِنْ عُمُرِ الْأَحْقَابِ . . مَا فَتَرُوا

بِشَقْمُونَ فِيهَا ، وَيَلْقَوْنَ الرَّدَى طَرْدَا
الْجَهْلُ قَادِعُهُمْ ، وَالْفَقْرُ فَادِحُهُمْ ،

وَالظُّلْمُ عَاقِرُهُمْ شِبْهَ الْقَنَا قِصْدَا (٢٦)
وَلَسْتُ تَسْمَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ شَارِدَةٍ

إِلَّا سَفَاسِفَ تَغْلِي عِنْدَهُمْ زَبَدَا
وَلَا تَرَى بَيْنَهُمْ فِي مَوْضِعٍ بَشَرًا

إِلَّا كَمَنْ يُشْبِهُ الْأَنْعَامَ وَالنَّقْدَا (٢٧)

* * *

بني الْفُتُوحِ . . أَعَزَّ (الله) دَوْلَتَكُمْ !
جَدَّ الزَّمَانُ ، فَجِدُّوا ، وَأَسْلُكُوا الْجَدَّ (٢٨)
آفَاتُهُ كَأَنِّي السَّيْلُ صَاحِبَانَةٌ

تَنْحُو فَوَاتِكُهَا آفَاقَنَا لَبَدَا ، (٢٩)

(٢٥) شت : فرق . - أفاء عليه الشيء : جلبه له . - بددا : متفرقين .

(٢٦) قصد ، بكسر أوله وفتح ثانيه : كسر ، جمع كسرة .

(٢٧) النقد : بفتحين : جنس من الفنم حقر الجرم .

(٢٨) الجدد ، بفتح أوله وثانيه : الأرض المستوية .

(٢٩) لبد : بعضها ركب بعضا .

تنداحُ مِنْ حَوْلِنَا هُوجاً مُدْمِمةً
 كالْأَفْعُوَانِ إِذَا مَا التَّفَّ وَأَحْتَشَدَا (٣٠)
 فَلْيُبْتَنِ السَّدُّ مِنْ أَرْوَاحِنَا زَبْراً
 يَحْمِي الْمَوَاطِنَ ، وَالْأَعْرَاضَ ، وَالْوَلَدَا (٣١)
 مِيرَاثُنَا .. جَهْدُ آبَاءِ لَنَا مَجْدُهَا
 عَلَى الزَّمَانِ ، جَدِيدُ خَالِدُ أَبَدَا :
 تَشْرِيبُهُ ، وَنَوَامِيهِ ، وَعِزَّتُهُ
 وَرُوحُهُ ، وَهِيَ تُحْمِي الْأَنْفَ وَالْخَلْدَا : (٣٢)
 عَتَادُنَا ، يَبْتَنِينَا أَمَّةً ، وَيَقِي
 وَجُودَنَا غَاشِيَاتِ الْبَغْيِ ، وَالنَّكَدَا
 لَا يُبْلَغُ الْعِزُّ إِلَّا مِنْ مَسَالِكِهِ ،
 وَلَيْسَ يُعْطِيهِ مَنْ مَنَى وَمَنْ وَعَدَا

(أَرْضُ الْعُرُوبَةِ) قَلْبُ الْأَرْضِ .. هَيْكَلُهَا
 فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، مَبْسُوطٌ بَدَأَ وَمَدَى
 نَسْرٌ .. جَنَاحَاهُ جَبَارَانِ .. إِمْتَهَدَا ،
 وَأَسْتَرْهَبَ الْعَيْنَ جَرِماً ، وَأَعْتَلَى كَتَدَا (٣٣)
 هُنَا (عِرَاقُ الْعُلَى) بِزْهُوٍ بِغُرَّتِهِ ،
 فِي (الشَّرْقِ) يَرْتَادُ عَرَشَ الشَّمْسِ مُقْتَعَدَا

(٣٠) تنداح : تعظم وتسترسل . - هوج : متتابعة الهبوب كأن بها هوجاً أي حمقاً .

(٣١) الزبر : قطع الحديد الضخام .

(٣٢) النوامي : النوازع المبدعة الخلاقة . - الخلد : النفس (يسكون الباء) .

(٣٣) الكتد : مجتمع الكتفين .

وَهَاهُنَا (الْمَغْرِبُ) الْوَهَاجُ شَارِقُهُ
 فِي (الْمَغْرِبِ) ، مُنْتَصِبٌ فِي عِزِّهِ صَيِّدًا (٣٤)
 وَكُلُّ مَعْقِدٍ زَمَلٍ فِي مَقَاوِزِهَا
 (قُدُسٌ) ، تَحَرَّمَ بِالْأَرْوَاحِ وَأَعْتَصَدَا

* * *

مَتَى أَرَى (الْوَحْدَةَ الْكُبْرَى) تَحُوطُ لَهَا
 هَازِي الْجَلَالَةَ ، وَالْأَفْدَاسَ ، وَالْعَقْدَا ؟ (٣٥)
 وَأَبْنَى لِي مُدَّةٌ أَحْيَا بِهَا ، فَأَرَى
 بَعْضًا يَشُدُّ لِبَعْضٍ آخِرٍ عَضْدًا
 لَا يَقْدَحُ الزُّنْدُ فِي كَفِّ إِذَا أَنْفَرَدَتْ ،
 وَبِالْبَدَيْنِ يُشِيرُ النَّارَ إِنْ زُنْدًا (٣٦)
 مَا نَحْنُ فِي الدَّهْرِ إِلَّا أَمَةٌ وَحَدَّتْ
 وَوَحَدَّتْ أُمَمَ الدُّنْيَا هَوًى وَهُدًى (٣٧)
 رَقَّتْ عَلَيْهَا رَقِيفَ الْوَرْدِ فِي سَحْرِ
 جَالِ النَّدَى فَوْقَهُ ، فَافْتَرَّ وَأَرْتَادَا (٣٨)

١٤٠١/١٢ هـ - ١٩٨١/١١ م

- (٣٤) شارقه : شمسه . - الصيد ، بفتحتين : الكبر والشموخ .
 (٣٥) تحرم : تمنع .
 (٣٦) العقْد ، بفتحتين : الولايات على الأمصار .
 (٣٧) زُند الزند ، بالبناء للمجهول : استقْدح ليوري ويقْدح .
 (٣٨) وحدت ، بتخفيف الحاء : انفردت بسمو الرسالة الإسلامية وحملها
 إلى أهل الأرض .
 (٣٩) السحر : قبيل الصبح . - افتر : تَلَا . - ارتَاد : اهتز من النعمة
 (بفتح النون) ، وهي الترفه .

اسلامبول .. عروس الشرق

هنا الدنيا .. هنا الدنيا ! ألا ، ما أحسنَ المحيَا !

رُوءاءُ كَفَمَ الكَنُونِ . إِذَا أَفْتَرَّ عَنْ الفَجْرِ (١)
على الأفقِ ، على الروضِ على البرِّ ، على البحرِ
كَأَنَّ الأَرْضَ قَدْ قَامَتْ على الرِّقْصَةِ والزَّمْرِ
سُرُورٌ أَيْنَمَا سِيرَتْ وَعَرْسٌ حَيْثُمَا تَجْرِي
فِيَا عَاشِقَ دُنْيَاهُ هُنَا الدُّنْيَا .. هُنَا الدُّنْيَا !

رَبَاعٌ .. كَجِنَانِ (الخُلْدِ) : لَا حَرَّ ، وَلَا بَرْدُ
صَبَّاهَا فِي ضَحَى « آبَ » كَمَا يَنْفَحُهُ الْوَرْدُ
فَرَوْضُ أَرْجُ العِطْرِ وَجَوْ غَنَجٍ سَعْدُ (٢)
أَنِيقُ الْوَشْيِ ، كَالْجِيدِ إِذَا زَيْنَهُ الْعَقْدُ (٣)
فِيَا عَاشِقَ دُنْيَاهُ هُنَا الدُّنْيَا .. هُنَا الدُّنْيَا !

يَحَارُ الْفِكْرُ ، لِنُ جَالِ ، بِمَا يَشْهَدُ مِنْ حُسْنِ
فَمَا يُؤْثِرُ ، أَوْ يَهْوَى ؟ وَمَا يُبْعِدُ ، أَوْ يُدْنِي ؟ (٤)

(١) الرواء : حسن المنظر في البهاء والجمال ، مهموز وغير مهموز . - افتر :

تبسم .

(٢) غنج : رقيق ، به شبه من ملاحاة الحسناء الفنجة المتدلة على زوجها ،
- سعد : مصدر ، وصف به .

(٣) الجيد : العنق ، وموضع القلادة منه . - العقد : القلادة .

(٤) يؤثر : يفضل .

إِذَا أَعْجَبَهُ مَرَأَى ، رَأَى أَعْجَبَ فِي الشَّانِ
فَلَا يَنْفَكُ مَسْحُورًا كَمَا أَخُودِ ابْنَةِ السَّدَنِ (٥)
فِيَا عَاشِقَ دُنْيَاهُ هُنَا الدُّنْيَا . . هُنَا الدُّنْيَا !

* * *

شَهِدْتُ الْحُسْنَ مَطْبُوعًا كَمَا أَبْصَرْتُ مَصْنُوعًا
وَصَادَفْتُ الْهَوَى سَمْحًا وَقَدْ تَلَقَّاهُ مَمْنُوعًا
وَشِمْتُ (الْخُلْدَ) مَرِيئًا ، وَقَبْلًا كَانَ مَسْمُوعًا (٦)
وَأَلْقَيْتُ شَتَاتَ الْحُسْنِ فِي (الْبُسْفُورِ) مَجْمُوعًا (٧)
فِيَا عَاشِقَ دُنْيَاهُ هُنَا الدُّنْيَا . . هُنَا الدُّنْيَا !

* * *

حِسَانٌ . . كَعْدَارَى (الْخُلْدِ) دِ ، يَمْرَحْنَ زَرَافَاتِ (٨)
كَأَنَّ « نَيْسَانَ » أَبْدَاهُنَّ - فِي الْآفَاقِ بَاقَاتِ
فَهُنَّ الزَّهْرُ فِي الرُّوضِ تَشْرَنَ الْحُسْنَ طَاقَاتِ
وَهُنَّ الزَّهْرُ فِي الْآفَاقِ نَزَلْنَ الْأَرْضَ غَادَاتِ (٩)
فِيَا عَاشِقَ دُنْيَاهُ هُنَا الدُّنْيَا . . هُنَا الدُّنْيَا !

* * *

جَمَالٌ . . كَفَتُونِ السَّحْرِ رَرِ أَخْذًا ، وَالسَّنَا وَمُضَا

(٥) ابنة الدن : الخمر ، والدن وعاءها .

(٦) شمت : أبصرت .

(٧) البسفور : مضيق يفصل تركية الأوربية عن تركية الآسيوية ، ويصل البحر الأسود ببحر مرمرة ، وتقوم عروس الشرق (اسلامبول) الساحرة على كلا جانبيه .

(٨) يمرحن : يتبخترن ويختلن دلالة . - زرافات : جماعات .

(٩) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

مَجَسَّ . . لَيْسَ غَضٌّ ، وَمَرَّأَى . . بِهِجٌ وَضُءٌ (١٠)
 سَلَ الْخَافِقَ عَنْ بَلَّوَا هُ فِيهِ ، وَأَسْأَلَ النَّبْضَا (١١)
 فَمَنْ يُمْنِسُكَ عَنْهُ انْتَفَ سَسَ أَنْ تَأْكُلَهُ عَصَا ؟
 فَيَا عَاشِقَ دُنْيَاهُ هُنَا الدُّنْيَا . . هُنَا الدُّنْيَا !

* * *

كَأَنَّ الْوَقْتَ ، بِالْعَادَا تِ كَالْأَزْهَارِ ، « نَيْسَانُ »
 فَهَلْ غَابَ عَنِ (الْخُلْدِ) رَقِيبُ الْخُلْدِ (رِضْوَانُ) ؟
 نَشَاوَى . . مِثْلُ رَائِيهِ نَ بِالْإِعْجَابِ نَشْوَانُ (١٢)
 يُبَاكَرْنَ رُبُوعَ الْأُنْـسِ سِ حَيْثُ الْحُبُّ أَلْحَانُ
 فَيَا عَاشِقَ دُنْيَاهُ هُنَا الدُّنْيَا . . هُنَا الدُّنْيَا !

* * *

أَغَانِ وَأَغَارِيْدُ لَهَا يَطْرَبُ مَحْزُونُ
 كَسَجَعَ الطَّيْرُ فِي الْأَيْكِ يُنَاغِيهِنَّ « قَانُونُ » (١٣)
 تُثِيرُ الرُّوحَ بِالشَّـدْوِ كَمَا يُنْشَرُّ مَدْفُونُ
 تُغْنِيهَا الْأَمْـالِيْدُ كَمَا اسْتَضْحَكَ مَفْتُونُ
 فَيَا عَاشِقَ دُنْيَاهُ هُنَا الدُّنْيَا . . هُنَا الدُّنْيَا !

* * *

لَدَيْهَا مُتَعَمِّدُ السَّمْعِ وَفِيهَا شَهْوَةُ الْعَيْنِ

- (١٠) غَض : طري ناضر . - وَضَا : مقصور وضاء (بضم اوله) ، اي : وضئ .
 (١١) الخافق : القلب .
 (١٢) نشاوى : سكارى .
 (١٣) الأيك : الشجر الملفف الأغصان ، المتشابك .

تَعَالَى (اللهُ) . . مَا أَقْدَرَ رَأْنَ يَجْمَعُ حُسْنَيْنِ !
 وَمَا أَحْسَنَ أَنْ تَلْتَذِ ذَ بَائِنَيْنِ شِهَيْنِ !
 بَرِيْثَيْنِ . . بِلا لِمِثْمَ ، جَمِيلَيْنِ . . بِلا شَيْنِ !
 فَيَا عَاشِقَ دُنْيَاهُ هُنَا الدُّنْيَا .. هُنَا الدُّنْيَا !

• * •

حَيَاةٌ . . لَمْ يُنْغِضْهَا سِوَى ذِكْرِي لِأَوْطَانِي
 أَرَى (البُسْفُورَ) بِسَامًا فَأَبْكِي ثَغَرَ (بَغْدَانِ) !^(١٤)
 نَبَا عَنْ أَفْقِهَا الْحُسْنُ ، وَلَمْ تَنْعَمْ بِعُمُرَانِ !^(١٥)
 كَأَنَّ لَمْ تَكُ فِي الدَّهْرِ حَرَّ جَمَالِ الْعَالَمِ الْفَانِي !
 فَيَا شِقْوَةَ (بَغْدَادَ) إِذَا لَمْ تُشْبِهِ الدُّنْيَا ! !

١٩٣٢/٩ هـ

(١٤) بغداد : من اسماء (بغداد .. مدينة السلام) مسقط رأس صاحب الديوان
 وآبائه وأجداده .

(١٥) نبا : اعرض ونفر .

باريس . . من مشارف السماء

- إلى أفقٍ أبهى مِن « الطَّيْفِ » ألوانا
 طربتُ ، وناغيتُ الأمانِيَّ نشوانا (١)
 كأنَّ الهوى الظَّمآنَ بَيْنَ جوانِحي
 إليه ، من التَّبْرِيحِ يُلْهَبُ نيرانا (٢)
 تَعَشَّقَتْهُ أَذُنًا ، وَكَمْ هامَ ذُو هوى
 على السَّمْعِ ، وَاسْتَشْرَى بِهِ الشَّوْقُ طُغْيَانا (٣)
 رُؤى . . مِثْلُ رِيْعانِ الشَّبَابِ نَضَارَةً ،
 وَأَطْيافِ أَحْلَامِ الكَواعِبِ أَزْيَانا ، (٤)
 تَمُورُ على عَيْنِي نَشَاوَى نَواعِسا
 وَتَهْمِسُ فِي أذُنِي غِنَاءَ وَالْحانِا (٥)

* * *

- سَمَوْتُ ، وَأَجْوَازُ السَّمَاءِ مَسالِكي
 إليه ، أَجاري الشَّمْسَ فِي السَّبْحِ إِمْعانا ، (٦)

-
- (١) الطيف (هنا) : قوس قزح وألوانه . - ناغيت : حادثت متلفظا .
 (٢) الجوانح : الضلوع القصيرة مما يلي الصدر . - التبريح : الشدة والجهد .
 (٣) هام : تحير واضطرب وذهب كل مذهب . - استشرى : عظم وتفاقم .
 (٤) ريْعان الشباب : أوله . - النضارة : الحسن والاشراق . - الكواعب :
 الشواب اللواتي كعبت ثديهن (بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد يائه) . -
 الأزبان : جمع زين ، وهو كل مايزن .
 (٥) تمود : تموج .
 (٦) أجواز السماء : أوساطها .

على مَرْكَبٍ .. لِلطَّيْرِ فِيهِ مِثَالُهُ :
 جَنَاحًا ، وَمِنْقَارًا ، وَذَيْلًا ، وَجُثْمَانًا
 طَوَى مِنْ « بَسَاطِ الرِّيحِ » مَا شَاعَ ذِكْرُهُ
 وَمَا صَنَعَتْ فِي الدَّهْرِ (جِنْهُ سَلِيمَانَا) !
 عُقَابٌ مِنَ الْفُلُودِ .. إِنَّ هِيَ دَوَّمَتْ
 أَخَافَتْ نُسُورًا فِي السَّمَاءِ وَعِيقَانَا (٧)
 تَشُقُّ سَمَاءً ، لَا عُبَابًا ، وَلَا ثَرَى
 وَتَقْطَعُ رِيحًا ، لَا رِمَالًا وَكُشْبَانَا
 كَأَنَّ الضَّرَامَ الْمُسْتَكِينَ بِجَوْفِهَا
 مَوَاجِدُ قَلْبٍ هَاجَهُ الشَّوْقُ أَشْجَانَا (٨)
 شَأَى سَبَحُهَا وَهُمْ الظُّنُونُ ، وَجَاوَزَتْ
 صَدَى الصَّوْتِ وَشَكَّ اللَّمْعِ خَطْفًا وَلَيْدَانَا (٩)
 إِذَا هِيَ زَفَّتْ ، ظَنَنَّا السَّفَرَ رَنَقَتْ
 سَكُونًا ، وَشَدَّتْ فِي ذُرَا النَّجْمِ أَرْسَانَا (١٠)
 وَمَا آدَهَا 'بَعْدُ' الْمَكَانِ ، وَلَا شَكَّتْ
 مِنْ السَّيْرِ لِعِبَاءِ بَحُونُ ، وَلِدُمَانَا (١١)

(٧) دومت : حلفت في طيرانها .

(٨) الضرام : لهب النار .

(٩) شأى : سبق .

(١٠) زفت : أسرع . - السفر : المسافرون . - رنقت : دارت في مكانها ولم

تسر . - الأرسان : الحبال ، الواحد رسن ، بفتحتين .

(٢١٠) ما آدها البعد : ما بلغ منها الجهد .

دَتَتْ ، وَأَصِيلُ الْيَوْمِ فِي عُنْفُوَانِهِ
 وَقَدْ رَابَلَتْ فِي ضَحْوَةِ الْيَوْمِ (بَغْدَانَا) (١١)
 أَطَلَّتْ عَلَى (بَارِيسَ) ، وَالْفِكْرُ سَاهِمٌ
 يُشْكِكُ فِيمَا تُبْصِرُ الْعَيْنُ لِعَلَانَا (١٢)
 أ (بَارِيسُ) فِي مَرَأَى الْعْيُونِ تَبَرَّجَتْ ؟
 أَمِ الْعَيْنُ قَدْ زَاغَتْ عَلَى الْبُعْدِ إِنْسَانَا ؟ (١٣)
 بَلَى ! هَا ذَه (بَارِيسُ) تَسْبَحُ فِي السَّنَا
 يُغَايِزُ مِنْهَا (السَّيْنُ) حَسَنَاءَ مِفْتَائِنَا (١٤)
 بَدَتْ تَحْتَنَا ، وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ تَلْتَقِي ،
 وَتُبْصِرُ مَا لَا يَبْلُغُ الْوَهْمُ أَحْيَانَا :
 زُمُرْدَةٌ ، بِاقْوَتَةٍ .. تَحْتَ سَاطِعِ
 مِنْ الشَّمْسِ أَذْكُتُهُ الْأَصَائِلُ عَقِيَانَا (١٥)
 تَمَوَّرُ مِنْ قَرَطِ التَّوْهِجِ رَوْنَقًا
 تَبْدَى بِهِ وَجْهُ الطَّبِيعَةِ جَذْلَانَا (١٦)
 تَأَلَّقَى كَالْإِفْرَنْدِ .. مَا جَ رَوَاؤُهُ ،
 فَشَعْشَعَ أَطْيَافًا ، وَمَا زَجَّ أَلْوَانَا (١٧)

-
- (١٢) سَاهِم : متغير عن حاله .
 (١٣) انسان العين : ناظرها .
 (١٤) السَّيْنُ : نهر باريس .
 (١٥) العقيان : الذهب .
 (١٦) تمور : تَمَوَّرُ ، أي تتموج وتضطرب . - تَبْدَى : تضعيف بدا . -
 جذلان : فرح .
 (١٧) الأفراد : ما يلمح في صفحة السيف من اثر تموج الضوء .
 - الرواء : ينظر في / ص ٥٢ . ح ٤ .

إِذَا أَخَذَتْهُ الْعَيْنُ ، يَخْطَفُ بَرْقُهُ

مَنَاهَا ، وَيُضْنِيهَا لِحَاطًا وَأَجْفَانَا (١٨)

...

تَرَامَتْ عَلَى صَاحِبِي السُّهُولِ خَمَائِلًا

تَرُدُّ حَسِيرًا ، سَابِغَ الطَّرْفِ ، وَمَنَانَا (١٩)
لَعَلَّ مَدَاهَا ، وَالْعُيُونُ حَوَاسِرُ ،

يُنَالُ خَيَالًا ، أَوْ يُقَرَّبُ حِسَابًا
فَرَادِيسُ حَوْ ، كَالْمَحَرِيرِ . . مُنْشَرًّا

مَلَاءَ ، كَوَهَاجِ الْكَوَاكِبِ مُزْدَانَا (٢٠)
تَلَفُ حَنَائِيهَا جَدَاوِلَ فِضَّةَ

وَتَحْيُو ثَنَائِيهَا حَدَائِقَ أَفْنَانَا
تَكَادُ مِنَ السَّرَّاءِ مِنْ فَرْطِ رِيَّتِهَا

تُنَاغِمُ شِدْوُ الطَّيْرِ سَجْعًا وَإِرْنَانَا
رَبَّتْ زَهْرًا غَضًّا ، وَرَطْبًا ، وَمُجْتَنِي

وَفَاكِهَةً شَتَّى ، وَتَبْنًا ، وَرُمَانَا (٢١)
وَعَاقَقَ فِيهَا الْإِيكُ أَيْكًا شَبِيهَهُ ،

وَرَأَقَصَ فَيْنَانُ الذَّوَائِبِ فَيْنَانَا (٢٢)
وَمَاجَتْ بَعِثْنِي حَيْثُمَا دَارَ نَاطِرِي

مَقَانِي مِثْلُ الْغَيْدِ عَرَّيْنِ أَبْدَانَا

(١٨) يَضْنِيهَا : يَجْهَدُهَا وَيَكْلَهَا .

(١٩) حَسِيرٌ : كَلِيلٌ . - وَسَنَانٌ : أَخَذَ فِي الْوَسْنِ ، أَيْ النَّمَاسِ .

(٢٠) حَوْ : خَضِرَ ضَارِبَاتِ إِلَى السَّوَادِ مِنْ فَرْطِ الرِّيِّ . - الْمَلَاءُ : الْمَلَاخَفُ .

(٢١) رَبَّتْ : زَادَتْ ، وَنَمَتْ . - غَضٌ : طَرِي نَاضِرٌ .

(٢٢) الْإِيكُ : الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفِ الْأَغْصَانِ . - فَيْنَانُ الذَّوَائِبِ : طَوِيلُهَا .

تَحَايَيْنَ زُهْرًا ، كَالشَّمُوعِ . تَنَالَقَت
 فَأَشْمَسَ مِنْهَا اللَّيْلُ كَالصُّبْحِ ضَحْيَانَا (٢٣)
 مَرِحَنَ قُدُودًا ، فَاسْتَشْرَنَكَ خَاطِرًا !
 وَثُرْنَ نُهُودًا ، فَاسْتَبَحْنَكَ وَجْدَانَا !

وَبَيْنَ الرِّيَاضِ الضَّاحِكَاتِ مَبَاسِمًا
 جَرَى (السَّيْنُ) مِفْتُونًا بِيَهِنًا وَفَسَانًا
 جَرَى يَنْثِيرُ الْمَذَامِ رَفِيقًا مَائِمًا
 وَصَقَّ جَدْلَانِ الْأَسِيرَةِ سَكْرَانَا (٢٤)
 تَحْيَوَى يَمَجْرَاهُ شِمَالًا وَيَمْنَةً
 كَمَا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ فِي السَّهْلِ ثُعْبَانَا (٢٥)
 وَهَامَ فُتُونًا هَاهُنَا ثُمَّ هَاهُنَا
 كَمَا هَامَ ذُو عِشْقٍ تَدَلَّى وَلَهَانَا (٢٦)
 تَعَشَّقَهَا صَبًا ، وَمَالَتْ حَبِيبَةً ،
 وَبَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ تَعَطَّفَ ظَمَانَا

وَحَقَّقَتْهُ أَمْثَالُ الْبُدُورِ زَوَاهِرًا
 حَوَالِمَ فِي شَطِئَتِهِ أَنْسَا وَسَلَوَانَا ،

-
- (٢٣) أشمس منها الليل : صار منها كالنهار طلعت شمسها . - الضحيان : البارز الواضح .
 (٢٤) الأسرة : خطوط الوجه والجبهة .
 (٢٥) تحوى : استدار كالحية . - الثعبان : ذكر الحيات .
 (٢٦) تدله : تحير . - الولهان : الداهب العقل .

دَسَا كُرُ بَيْضٌ ، شَارِعَاتُ مَسَالِكَا
 يُنَافِسُ مَيْدَانُ لَدَيْهِنَّ مَيْدَانَا (٢٧)
 وَنَاعَتُ حِفَافِيهِ الْقُصُورُ عَرَائِسا
 بَهْرَنَ وَجُوهَا مُشْرِقَاتٍ وَأَرْدَانَا (٢٨)
 شَبِيعَنَ نَعِيمَا ، وَأَرْتَوَيْنَ مَبَاهِجَا ،
 وَفِضْنُ حُبُورَا مُسْتَنِيرَا وَعُمْنَانَا
 تُطِلُّ عَلَيْهِ ضَاحِكَاتٍ لِيَضَاحِكِ
 كَمَا تَتَلَقَّى الْغَيْدُ فِي الْعُرْسِ وَلِدَانَا
 تَرَى مَنظَرَا . . مَا تَنْظُرُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
 أَحَبَّ وَأَحْلَى مِنْهُ فِي الْعَيْنِ رَيْعَانَا (٢٩)

تَمَلَّيْتُ حُسْنًا . . لَوْ تَمَثَّلْتُ (عَبْرًا)
 لَمَا كَانَ إِلَّا دُونَ سِيمَاهُ إِحْسَانَا (٣٠)
 يُظَنُّ خَيَالًا طَافِيَا ، لَا حَقِيقَةً
 وَيُحْسَبُ حُلْمًا ، لَا وَجُودًا وَعُمْرَانَا
 وَمَا الشِّعْرُ إِلَّا لَمَسْحَةٌ مِنْ خَيَالِهِ
 وَالْوَانِيهِ ، مَعْنَى وَسِحْرًا وَأَوْزَانَا
 سَبَانِي عَلَى نَأْيِ الْعِيَانِ ، وَكُلَّمَا
 دَنَا كَانَ فِي عَيْنِي أَجْمَلَ أَعْيَانَا .

(٢٧) الدساكر : القصور ، والقرى الغظام .

(٢٨) ناعث : حادثت نفيا ، أي بكلام لا يفهم . - حفافا الشيء : جانباه .

(٢٩) الريعان : أول الشيء وأفضله .

(٣٠) تمليت حسنا ، أي عشت معه ملاوة من الوقت وتمتعت به . السيماء :

العلامة يعرف بها حال الانسان او الشيء ، وفي التنزيل العزيز :

(تعرفهم بسيماهم) .

تَخَيَّلْتُ إِذَا أُمْعَنْتُ فِيهِ تَمَلِّبًا
كَأَنِّي بَيْنَ السُّحُبِ أَحْلُمُ بِقُظَانَا (٣١)
نَعَمْ . ! وَوَدِدْتُ الدَّهْرَ أَنِّي طَائِرٌ
عَلَى أَفْقِهِ النَّشْوَانِ أَنْظُرُ نَشْوَانَا !

رُويَدَا ، عُقَابَ الْجَوِّ . . لا تَهْبِطِي بِنَا
وَلِمَنْ حَنَّ قَلْبِي لِلْمَنَارِلِ لَهْفَانَا
يَقِي . رَنْقِي فَوْقَ الْمَشَارِفِ لِمَنَّا ،
لَا مَثَالَ هَذَا السِّحْرِ تُعْشَقُ دُنْيَانَا (٣٢)
دَعِينِي أَنْتِ مِنْ جُمْلَةِ الْحُسْنِ شَهَوَتِي
فَقَدْ عَزَّ مَشْهُودًا جَلِيلًا وَعُرْيَانَا !
إِذَا لَمْ تَنْلُ نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ رَبِّهَا ،
فَقِيمَ اقْتِحَامِي الْجَوْفَ نَارًا وَ « بُرْكَانًا » ؟
تَجَاهَلْتُ دُونَ الْحُسْنِ كُلَّ عَظِيمَةٍ ،
فَطِيرْتُ إِلَى مَا وَاهُ حُبًّا وَتَحَنُّنًا

سَبَمْتُ فِي عَيْنِي ، مَا عِشْتُ ، مَا إِذَا
رُوءَا ، وَيَحْيَا فِي ضَمِيرِي غَيْسَانَا (٣٣)

(٣٣) - المائل . - الرواء ينظر في ص ٥٣ . - الغيسان : حدة الشباب
وأوله ورفاهته وطيب عينه .

(٣١) رنقي : ينظر البيت .

(٣٢) المشارف : الأعالى .

تُسَاقِيْنِي الذِّكْرَى هَوَاهُ ، فَأَتَشْنِي
 وَقَدْ رُحْتُ مِنْ سُقْيَا الصَّبَابَةِ رِيًّا نَا
 إِذَا شِئْتُ . . نَاجَانِي خَيَالًا وَصُورَةً
 وَإِنْ شِئْتُ نَاغَانِي صَفِيًّا وَنَدْمًا نَا ، (٣٤)

هـ ١٤٠١ / ١٢

م ١٩٨١ / ١٠



(٣٤) الصفي : الحبيب المصافي . - الندمان : النديم .

الباب الخامس

مجد وعناوين

أبو فراس الحمداني .. الأمير الشاعر الفارس المجاهد

« اعتزمت الجمهورية العربية السورية في عام ١٩٦٢ أن تحتفل - في (حلب) -
بذكرى الأمير الشاعر الفارس المجاهد : أبي
فراس الحارث بن سعيد الحمداني
(٣٢٠ - ٣٥٧ هـ) ، تمجيداً للفروسية
والبطولة التي تجلت عنده في مجاهدته
(الروم) مع ابن عمه الأمير سيف الدولة
الحمداني أمير حلب ، وإحياء لقيم الشعر
العربي الحي الأصيل الذي برع في قرضه
وفاق .. ودعت الجمهورية العراقية
اللى مشاركتها ، فندبت صاحب
الدبوان لتمثيلها في هذا الموسم القومي ..
فلبى الدعوة ، واستلهم من سيرة هذا الشاعر
الفتى العظامي العصامي هذه القصيدة فيه .
ثم ما كاد يتأهب للرحلة الى (حلب) حتى
تلقت الجمهورية العراقية من الجمهورية
العربية السورية برفقة عجلي تشعرها بالفاء
هذا الاحتفال ، اذ حدثت في مدينة حلب
اضطرابات سياسية قضت بهذا القراء »



سَلَامٌ .. سَلَامٌ هَيَوَى والنَّسَبُ
على (حَلَبٍ) ، والعُلا ، و (العَرَبِ) !

على البلدِ الحرِّ في أمنٍه ،
وفي يومٍه ، والغدِ المرتقَّب
على الدَّم . . خَضَّبَ ساحاتِه ،
على شهداءِ الجِهَادِ الذُّجُوبِ
على مَجْدِ تاريخِه العَبْقَرِيّ
ومَجْدِ يُسَلِّسِلُهُ في العَقَبِ
على الشَّعْرِ والأَدَبِ المُسْتَطَابِ
وما أَبْدَعَتْ مِنْ فُنُونِ (حَلَبِ)
على العِلْمِ الرَّهْمَرِ مِنْ (يَغْرُبِ)
حُمَاةِ البَيَانِ ، رُعاةِ الأَدَبِ
على النِّشَاءِ الصَّاعِدِ المُسْتَعْرِزِ
بِمَجْدِ الأَبْوَةِ وَالْمُنْتَسَبِ (١)
وَمَنْ آمَنُوا بِاللَّيْسَانِ المُبِينِ --
بِهِ أَنْزَلَ (اللهُ) خَيْرَ الكُتُوبِ
وَمَنْ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ
وَجَدُوا لَغَايَتِهِمْ فِي الطَّلَبِ
. . .

. . نَمَاهُ (العِرَاقُ) هَوَى ، مَا أَرَقَّ
وَأَنْدَى ! وطابَ شَدَا ، مَا أَحَبَ ! (٢)

(١) النِّشَاءُ : بفتح الشين : جمع النشء .

(٢) نَمَاهُ : رفعه ، وأعلى شأنه .

نُفَاحُ حَمَائِدِهِ إِذْ تُطَسَّلُ ،
وَرِيًّا أَزَاهِيرِهِ فِي الرَّحَابِ (٣)
شَقِيقٌ . . يُعِزُّ أَشِقْقَاءَهُ ،
وَيَضْفُو لَهُمْ رَائِقًا كَالْحَبِيبِ (٤)
عَلَى (رَافِدِيَّتِهِ) كِرَامُ الْأَنْصَامِ
عَلَى الْحُبِّ قَدْ جُبِلُوا وَالرَّغَبِ (٥)
أَعَارِبُ . . مَا أَصْلُهُمْ فِي الْأُصُولِ
مَشُوبًا ، وَلَا دِينُهُمْ مُجْتَلَبِ (٦)
هَوَاهُمْ هَوَى (الْعَرَبِ) الْأَكْثَرِ مِيزَ
طِمَاحٍ لِتَوْحِيدِ شَمْلِ (الْعَرَبِ) !
يَرَوْنَ التَّحَرُّرَ أَصْلَ الْحَيَاةِ ،
فَلِمَا الْحَيَاةِ ، وَلِمَا الشَّجَابِ (٧) !
. . إِلَيْكُمْ يَمْدُونْ أَيْمَانَهُمْ
بِأَمْضَى سِلَاحٍ ، وَأَقْوَى سَبَبٍ
لِدَفْعِ الْخُطُوبِ ، وَكَشْفِ الْكُرُوبِ ،
وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَحِفْظِ النَّشَبِ (٨)
وَإِنَّ (الْعِرَاقَ) شَقِيقُ (الشَّامِ)
وَإِنَّ الثَّرَى وَاحِدٌ وَالنَّسَبُ

(٣) النفاح : الطيب الذي ترتاح له النفس . - تطل : تمطر .

(٤) الحبيب : الظل يصبح على النبات .

(٥) الرافدان : دجلة والفرات .

(٦) مشوب : مختلط بغيره مما يفسده .

(٧) الشجب : الهلاك .

(٨) الثغور : المواضع التي يخاف هجوم العدو منها . - النشب : المال .

وما ثمَّ شَعْبَانِ ، بَلْ أُمَّةٌ
إِذَا أَنْشَعَبَ النَّاسُ لَا تَنْشَعِبُ !

• • •

أُمَّ (الْعَوَاصِمِ) . . ماضٍ عَرِيقٌ
يُسَامِي بِذِكِ الشُّهْبِ ، رَاعَ الشُّهْبُ (٩)
صَحَائِفُهُ الزُّهْرُ ، لَوْ أَلْقَيْتَ
عَلَى أَلْتِ الشَّمْسِ ، زَادَتْ لَهَبُ !
خَيْالٌ تَنْقَلُ فَوْقَ الْقُـرُونِ
وَعَيْنٌ تَرَاهُ ، وَقَلْبٌ يَجِيبُ ! (١٠)

• • •

حَمَلْتُ عَنْ (الْعُرْبِ) عِبَاءَ الْجِهَادِ
وَمَا أَنْأَدَ كَاهِلُكَ الْمُنْتَصِبُ ! (١١)
سَرَايَا (عَلَيَّ) وَفُرْسَانُـــــــهُ
عَلَيْهَا تَجَافِيهُهَا وَالْيَلَابُ (١٢)

(٩) أم العواصم : حلب . والعواصم : اسم اطلق قديما على حصون موانع ،
وولاية تحيط بها ، بين حلب وانطاكية . كان قد بناها قوم ، واعتصموا
بها من الأعداء ، وأكثرها في الجبال ، فسميت بذلك .

(١٠) يجب : يضطرب .

(١١) أناد : اتثنى واعوج ، مطاوع آده . - الكاهل ، من الانسان : مابين كتفيه ،
او موصل العنق في الصلب .

(١٢) السرايا : جمع السرية ، وهي قطعة من الجيش . - علي : هو الأمير
سيف الدولة الحمداني ، أمير حلب ، وقرع الروم (٣٠٣ - ٣٥٦ هـ) .
واخبار غزواته للروم ووقوفه بوجههم ، من مفاخر العرب في تاريخهم
القديم . وقد كان الى ذلك حفياً بالعلم والادب والشعر والحكمة ، ومكرماً
للعلماء والادباء والشعراء . وقد اجتذبتهم مكرماته اليه من كل صوب ،
وحفلت ايامهم بالآثر ، فكان ممدحاً ، وفي طليعة مادحيه المفرقين في مدحه
ابو الطيب المتنبى . - التجافيف : جمع التجفاف ، وهو مايلبسه المحارب
كالدرع . - اليلب يخرز بعضها على بعض ، تلبس على الرؤوس خاصة .

- كَأَنَّ عَوَالِي مَرَاتِيهَا
 وَبَيْضَ الصَّوَارِمِ ، غِيلٌ أَشْيَبُ (١٣)
 تَشْقُ إِلَى (الرُّومِ) قَلْبَ (السدُّرُوبِ)
 وَتَنْشُرُ فِي (الرُّومِ) رُوحَ الرَّهَبِ (١٤)
 إِذَا أَبْصَرَ (الرُّومُ) رَايَاتِيهَا
 دَرَى (الرُّومُ) أَنَّ الْمَنَابِيَا كَثَبُ (١٥)
 وَكَمْ فِي الثَّنِيَّاتِ بَيْنَ (السدُّرُوبِ)
 حُرُوبٌ تُشِيبُ وَبَيْنَ (العَقَبِ) (١٦)
 تَلَقَّى الشَّقِيُّونَ فِيهَا الْعِقَابَ
 وَغَصَصَ (الدُّمُسْتَقُ) مِنْهَا وَتَبَ (١٧)
 وَلَيْسَ (الدُّمُسْتَقُ) شَرَّوِي (عَلِيٍّ)
 وَأَنِّي يُقَاسُ بِصَفَرٍ خَا—رَبْ ؟ (١٨)
 وَأَرْبَاضُ (خَرَشَنَّةِ) ، وَ (الَلْقَانُ) ،
 وَ (آلِسُ) ، لِلْمَوْتِ أَوَّلِ سَلَابِ (١٩)

- (١٣) المran : الرماح الصلبة . — الغيل : الشجر الكثير الملتف ، يستتر فيه . —
 الاشيب : الذي اشتد التفافه ، وكثر حتى لامجاز فيه .
 (١٤) الدروب (هنا) : المداخل الى بلاد الروم .
 (١٥) الكتب : القرب .
 (١٦) الثنايا : جمع ثنية ، وهي كل عقبة في الجبل مسلوكة . — العقب : جمع
 العقبة ، وهي طريق في الجبل وعرة ، أراد بها سلسلة جبال « طوروس » .
 (١٧) الدمستق : قائد رومي . — تب : خسر ، وهلك .
 (١٨) الشروى : المثل . — الخرب : ذكر الجباري ، وفي امثال العرب : « ما
 رايت صقراً يرصده خرب » يضرب للشريف يقهره الوضع .
 (١٩) خرشنة واللقان : من البلاد الرومية التي غزاها سيف الدولة . — آلس :
 نهر في بلاد الروم . — الأرباض : ما حول المدن ، واحدها ربض
 (بفتحتين) . — السلب : ما يسلب .

وَمَا عَرَفَ (العُربُ) غَيْرَ اللِّقَاءِ
وَمَا عَرَفَ (الرُّومُ) غَيْرَ الهَرَبِ !

* * *

أَدَارَ (عَلِيٍّ) ! عَلَيْكَ السَّلَامُ ،
وَسَقِيَا لِعَصْرِكَ بَيْنَ الْحَقَبِ ،
بَنَيْتَ فَأَعْلَيْتَ رُكْنَ الْحَيَاةِ ،
وَسُدَّتْ فَأَعْلَيْتَ شَأْنَ (العَرَبِ) !
وَصِرْتَ الْمِثَالَ الْبَعِيدَ الْمَنَالِ
وَأَعْجَبَ مَا نِلْتَ حَتَّى الْعَجَبِ !
عُلُوُّ كَمَا تَبْتَغِي الْمَكْرُمَاتِ ،
وَعِزُّ كَمَا يَشْتَهِيهِ الْحَسَبُ
وَمَنْ غَرَسَ الْمَجْدَ وَالصَّالِحَاتِ
جَنَى الْحَمْدَ أَطْيَبَ مَا يُكْتَسَبُ !
وَمَا الْمُلْكُ ثَرَرَةً وَأَعْنَادُ
وَلَا كَيْنٌ صَلاَحٌ ، وَغَرَسٌ ، وَحَبٌ

* * *

إِلَيْكَ وَفِيكَ أَنْتَبِي وَأَزْدَهِي
وَلَاذَ بِيَقْضُرِكَ هَذَا الْأَدَبُ (٢٠)
وَمَا كَانَ قَصُراً ، وَلَا كِنْسُهُ
خَلِيَّةُ فَضْلٍ جَنَاهَا الضَّرَبُ (٢١)

(٢٠) لاذ : التجأ . وقد كان قصر سيف الدولة مثابة الشعراء والفلاسفة
والنحاة : كالنبي ، والرفاء ، والنامي ، والبغاء ، والواواء ، وأبي فراس ،
والفارابي الفيلسوف ، وابن خالويه النحوي ، وغيرهم .
(٢١) الضرب : العسل الأبيض الغليظ .

تَلَاَقَتْ فُحُولٌ عَلَى بَهْمُوهِ
 وَلَا قَهُمْ رَبُّهُ الْمُعْتَصِبُ (٢٢)
 يَجُودُ عَلَيْهِمْ سَخِيَّ الْيَدَيْنِ
 وَيُضْفِي عَلَيْهِمْ جَلَالَ الرَّبِّ
 وَكَمْ نَابِيهِ خَامِلٍ عَيْشُهُ ،
 حَبَاهُ الرَّفَاهَةَ بَعْدَ التَّوَرَبِ (٢٣)
 وَبَارَى الْقَرِيضُ لَدَيْهِ الْقَرِيضُ
 وَرَنَّتْ جَوَانِبُهُ بِالْخُطْبِ
 وَأَسْنَى (أبا الطَّيِّبِ) الْعَبْقَرِيَّ
 فَاتَّعَلَّ أَفْرَاسَهُ بِالذَّهَبِ ! (٢٤)
 تَجَارَى الْعَطَاءُ وَسِخْرُ الْقَرِيضِ ،
 وَكَانَ لِغَيْرِهِمَا الْمُكْتَسَبُ ،
 وَكَانَ الْخُلُودُ نَصِيبَ الْقَرِيضِ ،
 وَمَا نِيلَ مَنْ ذَهَبٍ قَدْ ذَهَبَ !
 فَأَيُّهُمَا كَانَ أَسْنَى سَنَاءً ؟
 أَمِنْ سَيْرِ الشَّعْرِ ، أَمْ مَنْ وَهَبَ ؟
 وَمَا خَطَرُ الشَّعْرِ .. لَوْلَا الْفِعَالُ
 صَدَقْنَ ، فَصَدَقْنَهُ ، فَأَنْتَسَبَ ! ؟

(٢٢) لاقهم : امسكهم .

(٢٣) الترب : الافتقار .

(٢٤) أسناه : رفع شأنه ، وفي البيت تلميح الى قول المتنبي يذكر افضال الامير سيف الدولة عليه :

تركت السرى خلفي لمن قل ماله

وانعلت افراسي بنعماك عسجدًا

عَلَيْكَ الرِّضَا ، يَا زَمَانُ الْفُحُورِ ،

وَهَذَا أَوَانُ الرِّضَا ، لَا الْغَضَبِ !

وَرَعِيًّا لِيَذِكْرَاكَ ، زَيْنَ الشَّبَابِ ،

قَرِينِ الْبَيَانِ قَرِيبِ انْتِوَابِ (٢٥)

فَتَى (آلِ حَمْدَانَ) بَلْ (يَعْرُبِ) ،

وَمَنْ ذَا أَجَقُّ بِهِـذَا اللَّقَبِ ؟

تُكْرَمُ لِلشُّعْرِ ، أَمْ لِلْكَمَا

لِ : أَمْ لِلْبُطُولَةِ ، أَمْ لِلنَّمَا ؟

أَجَلُ فَتَى جَمَعَ الْمُنْقَبَاتِ ،

وَأَغْلَى مَعَانِيَهَا ، وَأَحْتَسَبِ . (٢٦)

لَتَيْنِ رَفَعَتْ (حَلَبَ) رَايَةً

لَهُ الْيَوْمَ فَوْقَ سَوَامِي الْقُبَابِ ،

لَقَدْ كَانَ بَيْنَ الْخَمِيسِ وَاللَّوَاءِ ،

وَكَانَ الْمَقْدَمَ بَيْنَ النُّخْتَابِ (٢٧)

وَكَانَ لَهَا السُّورَ ، وَالْقَلْعَةَ الْـ

حَصِينَةَ ، وَالدَّرْعَ هِنْدَ الْكُـرْبِ

فَتَى . . دَهْرُهُ لِنُوْغَى وَالْهَمَى وَى ،

وَلِلصَّيْدِ ، وَالْأَدَبِ الْمُشْتَجَبِ (٢٨)

(٢٥) النوب : النوازل والمصائب .

(٢٦) احتسب : يقال احتسب بكذا أجراً عند الله : أي اعتده ينوي به وجه الله .

(٢٧) الخميس : الجيش الجرار ، ذو خمس فوق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والمسرة ، والساق .

(٢٨) المنتجب ، بالجيم : المتخير والمصطفى .

لَقَدْ عَلِمَ (الرُّومَ) كَيْفَ الطَّعْمان
يَكُونُ إِذَا مَا بَلَاءٌ حَـــــــرَبٌ (٢٩)
لَئِنْ طَالَ فِي سِجْنِهِمْ أَسْـــــــرُهُ
لَقَدْ طَالَمَا ساءَ لَهُمْ وَأَحْتَرَبَ (٣٠)
وَكَمْ شَقَّ أَحْشاءَ أَوْطَانِهِـــــــمْ
وراعَ الذُّرُوبَ وَأَفْشَى السُّـــــــرْبَ (٣١)
وَجَزَّ نَواصِييَ فُرْسانِهِـــــــمْ
وَجَزَّ عَثَانِيْنَهُمْ وَأَخْتَلَبَ (٣٢)
شَدِيدٌ عَلَى جَمَراتِ الكُماةِ
ضَعِيفٌ إِزاءَ الْعَواني الْعُــــرْبُ (٣٣)
سَبَاهُ هَواهُنَّ وَهُوَ الْعَزِيزُ ،
فَأَضْرَعَهُ ، فَأَضْطَنَى ، فَأَنْتَحَبَ (٣٤)

- (٢٩) حربه البلاء : نابه واشتد عليه .
(٣٠) جرح أبو فراس في إحدى معارك الروم ، في سنة ٣٣٥ هـ ، فأسروه ، وسجنوه في القسطنطينية أعواماً ، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة ، غير أن خاتمة حياته كانت على يد أحد أتباع سعد الدولة بن سيف الدولة ، وكان أبو فراس خال سعد الدولة ، وكان بينهما تنافس .
(٣١) السرب : الجماعات ينسلون من معسكر فيغيرون ويرجعون .
(٣٢) جز : قطع . - النواصي : جمع الناصية ، وهي شعر مقدم الرأس . وقد كانت العرب في الجاهلية تفعل ذلك بالأسرى - انظر « بلوغ الأرب في أحوال العرب » . - العثانين : جمع العثنون ، وهو مانبت على الذفن وتحتة سفلاً . - اختلب : قطع .
(٣٣) جمرات : أهل منعة وشدة . - الكماة : جمع الكمي ، وهو الشجاع المقدام الجريء ، ولابس السلاح . - العرب : جمع العروب ، وهي المرأة المتحبة الى زوجها .
(٣٤) أضرعه : أخضعه وذلك . - اضطنى : مرض ونحل جسمه . - انتحب : أعلن بالبكاء .

وسالت على الطرس أنفاسه
 سبائك من لهب أو شنب (٣٥)
 صدى حربيه ، أو صدى حبه ،
 تفجر من قلبه ، فانسرب
 وراء مبانیه نفس الكريم ،
 ونبل الشريف ، وروح الطسرب
 رحيق ، ولاكين يصح العقول ،
 وليس كذلك رحيق العنب (٣٦)
 أصيل المشاعير ، حالي اللغات ،
 نبيل المعاني ، قشيب الأهب (٣٧)
 وما طربت شاديات اللحنون
 بأعذب من شعره المنتخب
 كتبع الصفا . . راق سئسأله ،
 وذوب المدام . . جرى وأنسكب (٣٨)
 تدر به في الوريد الحياه ،
 وينفي عن المرهقين الوصب (٣٩)

-
- (٣٥) الشنب : جمال الثغر وصفاء الأسنان ، استعاره لحسن غزله وتشبيبه .
 (٣٦) الرحيق : الخالص الصافي من الخمر .
 (٣٧) قشيب : جديد . - الأهب : بفتحين : جمع الأهاب ، وهو الجلد .
 (٣٨) الصفا : الحجر الاملس . - المدام : الخمر .
 (٣٩) الوريد : كل هرق يحمل الدم الأزرق من الجسد الى القلب . - الوصب : الوجع ، والفتور في البدن .

أَجَارَ الْآخِرِ .. هَذَا الْقَدِيمُ ،
فَهَاتِ الْجَدِيدَ الَّذِي يُرْتَقَّبُ
دَعِ الشَّعْرَ زَمْزَمَةً ، أَوْ رُقًى
بِهَيْمِ الْخِيَالِ ، خَفِيِّ الْأَرْبِ !
تَبِيعاً .. مَشَاعِيرُهُ مُجْتَدِداً
وَتَصْوِيرُهُ مُخْتَلًى مُنْتَهَباً (٤٠) !
وَطِرْ فِي سَمَاوَاتِهِ مُفْرِداً ،
وَدَعْ خَلْفَكَ السَّرْبَ أَتَى سَرَباً (٤١)
وَعَرْدُ بِصَوْتِكَ ، لَا تَسْتَعِزْ
لَهُ وَتَرَأَ عَنْ لَهَاةٍ أُغْتَسِرَ .
رَأَيْتُ الْمُقِلَّدَ يَحْكِي سِوَاهُ ،
وَلَيْسَ لَهُ مَا لَهُ مِنْ كِسْبٍ ، (٤٢)
كَزَنْجِيَّةٍ ، رَاعَهَا فِي الضُّحَى
تَبْرَجُ شَفَرَاءَ تَحْكِي اللَّهَبَ ،
فَجَاءَتْ وَقَدْ صَبَّغَتْ وَجْهَهَا
وَشَمَرَتْ الثَّوْبَ فَوْقَ الرُّكْسِ ،
فَمَا أَبْيَضَ أَسْوَدُهَا بِالْيَاسْرِ ،
وَمَا بَانَ أَقْبَحُ مِمَّا أَحْتَجِبُ !

• • •

- (٤٠) تبيع : تابع . - مختلى : مقطوع ومنزوع .
(٤١) السرب : أراد فريق الشعراء . - سرب : مضى .
(٤٢) الكسب : جمع كسبة . يقال : انه لطيب الكسب والمكسب والمكسبة ، اي :
طيب الكسب ، وهو طلب الرزق .

وما أنا بالخائفِ المُستَظَنِّـارِ
 على الشَّعْرِ ، وَالْجِيلِ واعِ أَرَبُ (٤٣)
 رَأَيْتُ مَخَايِلَ عِنْدَ الشَّبَابِ ،
 تُبَشِّرُ أَنَّ الْجَنَى قَدْ قَرُبُ
 وَكَمْ شَاعِرٍ بَيْنَهُمْ . . شِعْرُهُ
 مَزَاهِرُ ، لِرِثَائِهَا يَخْتَلِبُ (٤٤)
 خَلَائِفُ قَوْمٍ ، شَأَوْا فِي الذِّكَا ،
 سَيَغْدُو لَهُمْ فِي السَّبَاقِ الْقَصَبُ (٤٥)
 وَتَزْهُو بِإِنْشَادِهِمْ أُمَّةٌ ،
 وَيَصْحُو نَوْمٌ ، وَيَرْتَاحُ صَبٌ
 فَحَيْهَلًا بِالْغُصُونِ اللَّـدَانِ
 وَحَيْهَلًا بِثَمَارِ الْعَذَبِ ! (٤٦)

أَرَى الشَّعْرَ يُمْرِعُ هَذَا الْفُؤَادَ
 أَجَدَّ بِهِ رَبُّهُ ، أَمْ لَعَلَّـبُ ! (٤٧)
 وما زاهرٌ مِّنْ وَجْوهِ الرَّبِيعِ
 تَضَاحَكَ نَوَّارُهُ وَأَثْنَشَبُ ، (٤٨)

- (٤٣) المستطار : المذعور . - الأرب : من له دربة ومهارة وبصر .
 (٤٤) المزاهر : جمع المزهري ، وهو العود الذي يضرب به . - يختلب : يفتن .
 (٤٥) شأوا : سبقوا ، ويقال للسابق : « أحرز قصب السبق » ، وأصله أنهم كانوا ينصبون في ميدان السباق قصباً ، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق .
 (٤٦) حيهلاً بفلان : أبداً به ومجلى بذكره ، وفي حديث ابن مسعود : « إذا ذكر الصالحون فحيهلاً بغير » . - اللدان : الرطاب اللينة . - العذب : أطراف الأشياء ورؤوسها .
 (٤٧) يمرع الفؤاد : يخصبه .
 (٤٨) النوار : الزهر . - أثشب : كثر ، والتفت بعضه على بعض .

وَأَذْكِي شُعاعُ الضُّحَى لَوْنَهُ
فَأَشْرَقَ مِثْلَ الضُّحَى وَالْتَهَبَ ،
وَلَا شَدُوُ صَادِحَةٍ فِي الرِّبَاضِ
رَأَتْ زَهْرًا ، فَتَغَنَّتْ ، عَجَبُ ،
فَأَرْقَصَ أَوْراقُهَا شَدُوُهَا ،
وَأَسْكَرَ فِيهَا السَّوَاقي الطَّـرَبُ ،
بَأَنْدَى عَلَى الْقَلْبِ مِنْ رَبِّهِ
بَلَى . . رَبُّهُ الْعَذْبُ أَنْدَى ثَغَابُ (٤٩)
هَوَى الرُّوحَ ، تَحْنُو عَلَيْهِ الْكُؤُوسُ
وَيَزْكُو شَدَاهُ بِهَا مَا أَغَابُ (٥٠)

١٩٦٢/ ٩/ ٢١م

- * * -

(٤٩) الثغب : ما يلدوب من الجمد .
(٥٠) يزكو : ينمو ويزيد . - ما : مصدرية ظرفية . - اغب : ترك مدة ، ومنه :
اغبنا فلان : اتانا غبا ، وقولهم : « زغباً ، تردد حبا » .

ابن زيدون .. شاعر الجمال والغزل العذري

حَيَّهِ مِنْ شَاعِرٍ فِي الْغَايِرِينَ
عَاشَ حَيًّا فِي قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ^(١)
شَاعِرُ الْحُبِّ .. وَمَا أَعْظَمَهُ
لَقَبًا ، يَحْيَا بِهِ فِي الْخَالِدِينَ !
شَاعِرُ الْحُبِّ .. وَمَا الدُّنْيَا سِوَى
نَعَمِ الْحُبِّ ، وَشِعْرِ الْمُغْرَمِينَ
وَبَقَايَا .. فَضُولٌ ، مُنِيَّتْ
بِتَعَاطِيهَا نَفُوسَ الْعَالَمِيِّينَ
هَلْ يَرُوقُ الْعَيْشُ فِي غَيْرِ هَـوَى ؟
أَوْ يَرُوقُ الْعُمُرُ فِي غَيْرِ حَنِينِ
لَا وَدَلُّ الْغَيْدِ فِي فِتْنَتِهِ ،
وَجَلَالِ الْحُسْنِ فِي الْخُلُقِ الْحَصِينِ !

جَلَّ مَا رَفَرَقَهُ فِي شِعْرِهِ
مِنْ دُمُوعٍ ، وَزَفِيرٍ ، وَأَنِينِ !
قَطَعَ مِنْ كَيْدِ مَقَرُّوحَةٍ
صَلَّيْتُ فِي الْحُبِّ نِيرَانَ الشُّجُونِ^(٢)

(١) الغابر : الماضي .

(٢) صليت النار وبها : احترقت فيها . - الشجون : الهموم والأحزان .

وفؤادٍ مِنْ تَبَارِيحِ الضَّنَى
 ذَابَ ، إِلَّا رَمَقًا لَا يَسْتَبِيحُ^(٣)
 قَطَرَتْهَا شَجَنًا أَنْفَاسُهُ ،
 كَحَنَانِ الْإِلْفِ نَاءَهُ الْقَرِيبِ^(٤)
 وَجَلَدَتْهَا فِتْنَةً أَشْعَارُهُ ،
 كَرُوءِ السَّحْرِ ، تَسْبِي النَّاطِرِينَ^(٥)
 ضَحِكَ فِي أَدْمُعِ رَقْرَاقَةٍ ،
 وَتَعَالَى فِي خُضُوعِ مُسْتَكِينِ^(٦)
 نَمَمَاتٍ . . تَنْبَرِي وَاجِفَةٍ ،
 كَوَ مِضْرِ الْبَرْقِ ، أَوْ نَبْضِ الْوَتِينِ^(٧)
 مِنْ ضَلَالِ النَّفْسِ فِي حَيْرَتِهَا
 وَخِذَاعِ الْقَلْبِ بِالْوَصْلِ الضَّنِينِ^(٨)
 يَرْهَبُ الْفُرْقَةَ أَنْ تَدْهَمَهُ
 وَيَخَافُ الدَّهْرَ أَنْ لَا يَسْتَكِينِ^(٩)
 بَيْنَ يَأْسٍ مِنْ يَقِينٍ عِنْدَهُ
 وَرَجَاءٍ يَبْتَغِيهِ فِي الظُّنُونِ

- (٣) التباريح : الشدائد . - الضنى : المرض المخامر ، كلما ظن برؤيه نكس .
 - الرمق : بقية الروح .
 (٤) ناءه : باعده .
 (٥) الرواء : حسن المنظر في البهاء والجمال . - تسبي : تأسر .
 (٦) تنبري : انبرى له ، ينبرى : اعترض . - الواجفة : الخافقة . - الوتين :
 العرق الشرياني الذي يغذي الجسم بالدم المنقى من القلب .
 (٧) الضنين : البخيل .
 (٨) تدهمه : تفجؤه وتفشاه .

ما دَرَى الْأَمَنَ فُؤَادُ عَاشِقٍ
سَاعَةً إِلَّا مَرُوعاً مِنْ كَمِينٍ !

أَيُّ قَلْبَيْنِ إِذَا مَا اجْتَمَعَا
وَعَبُودٍ تَتَلَقَى بَعِيُودُ !
قِفْ تَأَمَّلْ خَفَقَاتِ ، نَطَقَاتِ
بِالْهَوَى ، وَآرَنُ إِلَى السَّحْنِ الْمُبِينِ ، (٩)
وَتَصَوَّرْ مَبْسِمِينَ التَّقِيَا ،
وَعِنَاقِينَ خَدِينَا لِخَدِينِ ، (١٠)
فِي أَحَادِيثَ كَأَنْفَاسِ الصَّبَا ،
وَشَذَا الْوَرْدِ ، وَرَقْرَاقِ الْمَعِينِ : (١١)
يَقْطَعَانِ الدَّهْرَ فِي ظِلِّ الصَّبَا
بَيْنَ لَثَمٍ ، وَعِنَاقٍ ، وَأَنْبِيْنِ
كُلَّمَا جَدَّ الْهَوَى ، زَادَا بِهِ
لَعِباً يُغْرِي ، وَلَهْواً ، وَحَنِينِ
هَلْ تَرَى مِنْ غِبْطَةٍ ، رَفَّتْ عَلَى
مَشْهَدٍ ، أَبْدَعَ يَحْلُو وَيَزِينُ ؟
وَقَفَّ الدَّهْرُ عَلَيْهِ ثَمَلاً
يَغْطِي الْإِلْفَيْنِ كَالصَّبِّ الْغَبِينِ (١٢)

(٩) أرن : آدم النظر .

(١٠) الخدين : الصديق .

(١١) المعين : الماء السلسال الجاري على وجه الأرض .

(١٢) الثمل : السكران . - الغبين : المعبون .

لَا أَخَافُ (اللهُ) قَلْبًا هَائِمًا

بِبَنَاتِ الْحُسْنِ مِنْ حُورٍ وَعَيْنٍ (١٣)

يَا دُعَاءُ . . مَا أَسْتَجَابَتْهُ السَّمَاءُ

لِعَاشِقَيْنِ عَلَى كَرِّ السَّنِينِ
لَيْتَهَا فِي عَاشِقَيَّ (قُرْطُبَةَ)

لَبَّتِ الْقَوْلَ لِيَذُلَّ الضَّارِعِينَ (١٤)
إِنْ مَازَقَاهُ فِي ظِلِّ الْهَوَى

مِنْ أَفَاوِيقَ حَلَّتْ ، عَادَ وَزَيْنُ : (١٥)
ضَرَبْتُ أَيْدِي النَّوَى بَيْنَهُمَا ،

وَالنَّوَى قَتَالَهُ لِلْعَاشِقَيْنِ !
النَّوَى ؟ سَلِّ بِالنَّوَى مَنْ ذَاقَهَا ،

يُزِلُّ الشَّكَّ ، وَيُخْبِرُ بِالْيَقِينِ :
ظَمَأُ بَرَحٍ ، وَشَوْقُ دَائِمٍ ،

وَجَوَى يَدْوِي ، وَسَقَمٌ ، وَجُنُونٌ (١٦)
مَالَهَا طِيبٌ يَوَاسِيهَا ، خَلَا

عَوْدَةَ الْوَصْلِ قَرِينًا لِقَرِينٍ (١٧)

•

(١٣) حور عين : بيض ، حسان العيون .

(١٤) قرطبة : عاصمة الدولة الأموية في الأندلس . - الضارع : الدليل الخاضع .

(١٥) الأفوايق : الأطايب ، جمع الفيقة ، وهي في الأصل اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحبتين . - الوزين : الحنظل المطحون .

(١٦) ظمأ برح : عطش شديد .

(١٧) يواسيها : يداويها ويصلحها .

يَا لِسَاناً وَقَعَ الشَّجَوَّ الْـلـِـذِي

سَحَرَ الدُّنْيَا ، وَهَزَّ الْمُغْرَمِينَ !
وَلَدَتْ (وَلَادَةٌ) أَنْغَامَهُ ،

فَتَنَّاغَى بِأَقَابِينَ اللُّحُونِ (١٨)
قَدْ أَصَابَ الْحُبُّ مِنْ قَلْبَيْهِمَا

عَاشِقًا شَهْمًا ، وَمَعشُوقًا رَزِينًا !
مَامَشَى الرَّيْبُ إِلَى قُدْسَيْهِمَا ،

وَهَوَى النَّفْسَ أَرْتِيَابًا وَمُجْسُونًا (١٩)
يُعْصَمُ النَّبْلُ وَيُحْمَى طُهُرُهُ
بِقُوَى الرُّوحِ ، وَبِالْخُلُقِ الْمُتِينِ .

* * *

يَعْرِفُ الصِّدْقَ أَخُو الصِّدْقِ ، فَدَعَا

كَذَبَ الشَّكِّ ، وَغَمَزَ الْجَاهِلِينَ

رُبَّ حُبٍّ كَنَمِيرِ الْمَاءِ فِي

صَفْوِهِ : زَاكِ ، وَصَافٍ ، وَمَعِينٍ (٢٠)

١٩٣٤/٢ م.

(١٨) تناغى : تكلم بما يعجب ويسر .

(١٩) المجون : قلة الحياء ، وعدم المبالاة في قول أو فعل .

(٢٠) النمر : الماء الزاكي ، وقيل : الناجع في الري . - المعين : المدد الغزير .

ذكرى شاعر الجمال والغزل العنري

في عكاظ ((رباط الفتح))



« قررت وزارة الشؤون الثقافية في المملكة المغربية السعيدة في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م أن تحتفل بذكرى ذي الوزارتين بحتري الأندلس وشاعر الجمال والحب العنري : ابي الوليد أحمد بن عبدالله بن غالب (ابن زيدون) المخزومي القرطبي ، تمجيداً للسيرة الفاضلة في الحياة ، وبعثاً لمثل الادب العربي الرفيع ونفحات الشعر الحي الاصيل ، تغذى به الثقافة العربية ، وتهذب الاذواق . وتلقى صاحب الديوان من الوزير الاديب المنشئ الحاج محمد ابا حنيني - يرحمه الله ، كتاباً يدعوه الى مشاركة (المغرب) في احياء هذه الذكرى الكريمة ، فصادفت منه هوى ، فلباه . واستلهم هذه القصيدة من روح هذا الشاعر « الشاعر » الخالد ، الذي احب ادبه وشعره ، واصفاه اعجابه واكباره ، لانه عاقته وعكة المت به عن السفر الى مراتب الطبيعة الساحرة في المغرب السعيد ، فانفذ القصيدة الى الوزير ، فانشدت في الاحتفال ، ونشرت في الكتاب الخاص »

لَمِنَ الْحَقْلُ فِي رَبِيعِ الزَّمَانِ ؟

(١) شَبَّبَ الشَّعْرُ فِيهِ كَالْكُرَّوَانِ
نَضَّرَتْ وَجْهَهُ الْبَشَاشَةُ وَالْحُسْنُ

(٢) ن ، وَأَسْنَى أَضْوَاءُ الْقَمَرَانِ
رَفَّ (آذَارُ) فِي نَوَاحِيهِ وَرَدَّ

عَبَقَرِيَّ الْخِيَالِ وَالْأَنْوَانِ

*

وَلَمِنَ هَازِهِ الْمَوَاصِبُ ، وَافَتْ

مِنْ قَصِيٍّ مِنَ الْبِلَادِ وَدَانِيٍّ
مِنْ ضِفَافِ (الرُّقَاقِ) وَ (الْأَبْيَضِ) الطَّامَا

(٣) مِي إِلَى مَنْزِلِ الْعُلَا (بَغْدَانِ)
قَدْ تَلَاقَتْ عَلَى رَحِيقِ الْمَوْدَا

ت ، وَمَسْكُوبٍ شَوْقِهَا وَالْحَنَانِ (٤)

-
- (١) الكروان ، بفتح الحاء ، وجمعه : كروان بالكسر والسكون ، وكراوين : طائر طويل الرجلين ، أغبر ، دون الدجاجة في الخلق ، له صوت حسن .
(٢) أسنى الرجل : جعله ذا سناء ، أي : رفعه ، و - أسنى النار ونحوها : رفع سناها وضوؤها . - القمران الشمس والقمر ، من باب التثنية .
(٣) الرقاق : مجاز البحر بين الأندلس والمغرب ، ويعرف اليوم باسم مضيق طارق ، أو مضيق جبل طارق . - الأخضر الطامي : البحر المحيط بالأطلنطي ، والطامي : العزيز الماء المرتفع المد . - بغدان : لغة في بغداد
(٤) الرحيق : الخاص الصافي من الخمر ، وفي التنزيل العزيز : (يسقون من رحيق مختوم) ، و - ضرب من المسك ، ومسك رحيق : لاغشى فيه ، وحسب رحيق : خالص لا شرب فيه .

حَضَنْتَهَا (الرِّبَاطُ) فِي بُهْرَةِ الْمُلْكِ

سك ، وعزَّ السُّلْطَانِ وَالصُّوْلَجَانِ (٥)

دَارَةُ الْفَتْحِ وَالْحَضَارَةِ وَالْعِلْمِ

م ، وكَبِيرِ الْعُلَا ، وَزَهْوِ الْأَمَانِي

*

الْبَهَائِيلُ أَهْلُهَا ، وَالْمَنَاسِبِ

بُ الْكِرَامُ الْعِتَاقُ مِنْ (عَدْنَانِ) (٦)

رَادَةُ الْعَدْلِ وَالْكَرَامَةِ وَالطُّهْرِ

ر ، وَسَرَوِ الْأَدَابِ وَالْإِيمَانِ (٧)

دِينُهُمْ . . دِينَ رَحْمَةٍ وَسَلَامٍ ،

وَهَوَاهُمُ فِي الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

هُمْ بَنُو الْعِلْيَةِ الْفَطَارِيفِ ، مَنْ شَا

دُوا ، فَأَعْلَوْا بِوَاذِخِ الْعُمَرَانِ (٨)

(٥) الرباط : رباط الفتح ، عاصمة المملكة المغربية ، وهي تقوم على جون من المحيط الاطلنطي عند مصب نهر أبي رقراق مقابل مدينة سلا . بناها عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة « الموحدون » في المئة السادسة الهجرية ، وسماها (المؤمنية) ، وجعلها رباطاً للجيش والاساطيل لغزو الاندلس ، وبني بها القصبة والدور والأسواق ، وأحاطها بالأسوار . وتعاقب على توسيعها من جاؤوا بعده . ولما تغلب (الأسبان) على الاندلس ، هاجر إليها خلق من أهله المسلمين ، وتوطنوها فيما توطنوا من حواضر المغرب .

(٦) البهاليل : جمع البهلول ، بضم أوله ، وهو السيد الجامع لصفات الخير . - المناسيب : ذرو الأنساب . . - العتاق : جمع العتيق ، وهو الكريم النجيب ذو الشرف .

(٧) الرادة : الطلاب . - السرو : الشرف .

(٨) الفطاريف : جمع الفطريف ، بكسر أوله ، وهو السيد الكريم .

خَلَّفَ نَابِيَهُ لِأَسْلَافٍ صِيْدَقِ
عَمَرُوا الْأَرْضَ مِنْ (بَنِي مَرْوَانَ) ،

سَلْ بِمُلْكٍ فِي (الْغَرْبِ) . قَدْ صِيْدَقُوهُ
(مَشْرِقاً) لِلنَّبُوغِ وَالْعِيْرِ رِفَانِ (٩)
نَسَخُوا آيَةَ (الْمَغَارِبِ) نَسْخاً ،

فَلِذَا الْكَوْنُ كُلُّهُ (مَشْرِقاً) !
أَطْلَعُوا النَّيِّرَاتِ فِيهِ وَضَاءُ
مُشْرِقَاتِ عَلَى مَسَدَارِ الْأَوَانِ
مِنْ ذَوِي اللَّسَنِ وَالزَّكَانَةِ وَالْفَاءِ

نِ الْمُجَلِّي ، وَمِنْ ذَوِي التَّيْجَانِ (١٠)
تَحْتَ رِابَالِهِمْ وَتَحْتَ ذَرَاهُمْ
وَأَزْدِهَا رِ النَّعِيْمِ وَالسُّلْطَانِ ، (١١)
أَزْهَرَ الشَّعْرُ فِي حِمَاهُ فَأَزْهَى
مِثْلَ إِزْهَارِ غَرْسِهِ فِي الْجِنَانِ .

-
- (٩) سَلْ : طلب ، مِنْ : سأل يسأل (مخفف سأل) ، والباء (بملك) بمعنى (عن) ، ومنه قوله تعالى : (سأل سائل بعذاب واقع) .
(١٠) الزكّانة : الفراسة ، و - أن يظن الشخص فيصيب ، والشخص زكن - بكسر ثانيه .
(١١) اللدرا ، بفتح أوله : ما أستر به ، والكنف ، بفتحين الجانب والظل ، والتاحية .

رُبُّ سَامِي النَّبُوغِ فِيهِ سَبُّـــــــــــــــــوقِ

فِي مَيَادِينِهِ طَفُوحِ الْعَيْنِــــــــــــــــانِ ، (١٢)

غَبَرَ النَّقْعَ فِي وَجْهِهِ الْمُجَلِّيــــــــــــــــ

نَ ، وَجَارَ الْمَدَى يَيَّوْمِ التَّرْهَانِ ، (١٣)

أَخْمَلَ السَّالِفِينَ ذِكْرَــــــــــــــــرَأَ ، وَأَنْسَى

شِعْرَ (حَسَّانَ) وَالْفَتَى (الذَّبْيَانِي) (١٤)

• • •

يَا (عُكَاطُ) . . فِي جَارَةِ الْأَخْضَرِ آهِمَا

دِرٍ ، يَرْمِي لَحْظًا وَرَاءَ الْمَكَانِ ، (١٥)

عَبَرَ (بَحْرِ الرُّفَاقِ) حَبِثُ الْفَرَادِيــــــــــــــــ

سُ ، وَأَطْيَافُ دَوْلَةِ وَكِيلَانِ ، (١٦)

(١٢) طفوح العنان : سريع ، شديد العدو . يقال : طفع الفرس : عدا وأسرع .
والعنان : سِر اللجام الذي يمسك به .

(١٣) النقع : الفبار الساطع ، وغبر في وجهه : سبقه ، كأنه أثار الغبار
أمامه . - المجلي : السباق . - المدى : الغاية .

(١٤) حسان : حسان بن ثابت الانصاري ، صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وشاعره . - والفتى الذبباني : النابغة الذبباني زياد بن معاوية
أحد أصحاب الملققات المشر .

(١٥) عكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة ،
وتستمر عشرين يوما ، تجتمع فيها قبائل العرب فيتماكظون ، أي :
يتفاخرون ، ويتناشدون الأشعار .

(١٦) العبر ، بالفتح ، والعبر - بالكسر مع تسكين الباء : من النهر أو البحر ،
شاطئه وناحيته . - الكيان : مصدر « كان » شاع استعماله حديثا اسما
لوجود الشيء من الملك ونحوه .

تَسْتَبِيرُ الذِّكْرَى ، فَيَسْتَعِيرُ الْمَجْدَ

دُ ، وَتَذْكُورُ لَوَاعِجُ الْأَشْجَانِ (١٧)

كَانَ فِيهَا إِشْتِعَارُ أَلْفٍ (عُكَاظِ)

تَتَعَالَى بِهِ عَلَى « كَيْسَوَانِ » (١٨)

.. قَدْ زَقَقْتَ الرَّيْحَانَ لِلْسَّابِقِ الْقَدِّ

ذِ ، لِوَاءِ الْفَوَارِسِ الْعِقبَانِ :

الْفَتَى « الْقُرْطُبيّ » ، زَيْنَ الرِّجَالِ إِنَّهُ

أَبَاهِ الْأَرْوَاعِ الْأَغْرَارِ الْهَيْجَانِ (١٩)

سَاكِبِ الرُّوحِ فِي الْقَرِيبِ ، وَكَاسِيهِ

« شُعَاعِ الزَّوَاهِرِ الْأَرْجَوَانِي » (٢٠)

بَعْدَ أَلْفٍ ، وَافِيَتْ أَكْرَمَ مَنْ وَ

فَاهُ بِالْغَارِ مُزْهِرِ الْأَفْنَانِ (٢١)

(١٧) يستعبر المجد : تجسري عبرات عينه ، لانحسار سلطان العرب عن (الاندلس) الفردوس الذي اثلوا فيه اروع حضارة ازدهرت ثمان مئة عام و آتت الانسانية ازكى الطيبات في كل مطالب الحياة الشريفة الهائلة . — تذكو : يشتد لهبها وتشتعل . — اللواعج : الحرق ، والاشجان : جمع الشجن ، بفتحتين ، وهو الهم والحزن ، و — الحاجة الشاغلة .

(١٨) كيوان بالفتح والسكون : كوكب زحل .

(١٩) الاروع : الذكي الفؤاد . — الاغر : الشريف والسيد . — الهجان : الحسيب النقي الحساب .

(٢٠) الأرجواني : الاحمر ، وصف لـ « شعاع » .

(٢١) الغار : شجر دائم الخضرة ، يصلح للتزين . كان (الرومان) يتخذون منه اكاليل يتوجون بها رؤوس قاداتهم المظفرين ، وشعرائهم النابغين ، اكباراً لمجدهم وتكريماً . — الافنان : جمع الفن ، بفتحتين ، وهو الفصن .

مَنْ تَرَاهُ أَحَقَّ بِالْعَارِ مِنْهُ ،
وَتَحَايَا الْعَمَارِ وَالرَّيْحَانِ ؟ (٢٢)

شِعْرُهُ الشَّعْرُ خَالِدًا ، وَهُوَ يَحْيَا
فِي ضَمِيرِ الزَّمَانِ كُلِّ الزَّمَانِ
يَزْدَهِي فِي الشِّفَاهِ رِقَّةَ لَفْظٍ ،
وَيَهْزُ الْأَرْوَاحَ لَحْنًا أَغْنَانِي
رَفَّ رَيْحَانُهُ عَلَى رَبْوَةِ الْخُلْنِ —
لِ رَقِيفِ النَّدَى عَلَى الْأَفْحُوانِ (٢٣)
إِنَّ أَلْفًا ، عَلَى شَبَابٍ قَوَافِي —

هـِ تَوَافَيْنَ ، وَهُوَ فِي الْعُسْفُوانِ ! (٢٤)
نَاضِرٌ ، وَالْحَيَاةُ تَمْرَحُ فِيهِ
مَرَحَ الطَّيْرِ فِي شَبَابِ الْعَيْنَانِ (٢٥)
خَضِيلٌ ، كَالْخَمَائِلِ الْخَضِرِ : فِي الْعَيْ
نِ رُوءَاءَ ، وَلِنَفْؤَادِ مَجَانِي (٢٦)

(٢٢) العمار ، بفتح العين وتخفيف الميم : ريحان كان الرجل يحيي به الملك ،
مع قوله « عمرك الله » .

(٢٣) الاقحوان : من نبات الربيع ، مفروض الورق دقيق الميدان ، له نور أبيض
« كانه ثمر جارئة حديثة السن ! » كما يقول (لسان العرب) ، وهو
البابونج والبابونك في الفارسية ، والبابنك (بضم الباء الثانية وتشديد
النون وكاف عجمية) في العامية البغدادية ، والبيون في لغة بعض
جهات العراق .

(٢٤) عسفوان الأمر : اوله ، يقال : هو في عسفوان شبابه ، اي : في نشاطه
وحديثه .

(٢٥) الطرف ، بكسر الطاء : الكريم من الخيل .

(٢٦) الرواء والروء : حسن المنظر في البهاء والجمال .

رائع ، ساحرُ الآداء ، ، مُبين

صَادِقُ الْحَسَنِ ، مُغْرِبُ الْاَفْتِنَانِ

كَلَّمَا شَابَ حَوْلَهُ الدَّهْرُ ، أَرْبَبِي

وَتَمَلَّيْ رُئُوسًا وَرِيَّ جَنَازٍ (٢٧)

يَتَهَبَّأُكَ زَمَنُوهُ وَحَدِّدْهُ

فَوْقَ مَا يَسْتَبِيكَ زَهْوُ الْغَوَانِي (٢٨)

وَيُنَاجِيكَ وَالْهَوَىٰ مِنْكَ دَانٍ ،

وَيُنَاغِيكَ وَالتَّلُوبُ حَسَوَانِي (٢٩)

وَيُغْنِيكَ إِذْ تُفَوِّدُكَ غُفَافٍ

فَتُغْنِيهِ شَاجِسِي التَّحْنَانِ

ساربا في أحلامه وشجواه

مُسْتَهَامًا بِبَوَاحِهِ الْفَتَّانِ (٣٠)

أَنْتَ تَصْحُو وَأَنْتَ تَسْكُرُ مِنْهُ،

يا لصاح من الهوى مكبر ان ١

(٢٧) أربى : زاد . - تملأ الشيء : أستمع منه . - الرئي ، بكسر الراء وسكون الهمزة : المنظر ، من : رأيت ، وهو ما رآته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة . - الحنان ، بالفتح : القلب .

(٢٨) الزهو : المنظر الحسن . - يتصباك : يشوقك . - ويستتيك : يأسرك .
- الفواني : الشواب الحسان اللواتي غنين بحسنهن عن الزينة ، الواحدة غانية .

(٢٩) يٰنَاعِيْكَ : يٰكَلِمَكَ بِمَا تَهْوَاهُ وَيَسْرُكَ .

(٣٠) السارب : الذاهب على وجهه في أحلامه . - الشجا : الطرب ،
والحزن - ضد . - المستهائم : الهائم ، وهو العاشق . - الوحد : الحب .

لَسْتُ تَدْرِي إِذْ تَنْتَشِي مِنْهُ سُكْرًا

كَيْفَ تَغْشَاكَ غَيْبَةُ النَّشْوَانِ ! (٣١)

يَنْفُذُ السِّحْرُ مِنْهُ فِيكَ ، كَمَا يَنْفُذُ

فُذُ سِحْرِ النُّجْلِ الْعُيُونِ الرَّوَانِي (٣٢)

إِنَّ أَلْفَظَهُ الرِّشَاقَ الصَّبَّابَ —

يَتَعَاشَقْنَ حُسْرَ الْأَرْدَانِ (٣٣)

يَتَلَقَيْنَ نَاعِمَاتِ طِرَابٍ

كَتَلَا قِي النَّسِيمِ وَالْأَغْصَانِ

يَمْتَرِاقُصْنَ فِيهِ مُعْتَنِفَاتِ

مُوقِعَاتِ عَلَى تَنَاقِيِ الْمَعَانِي

مَازَجِ الْوَاقِعِ التَّخْيِيلِ فِيهِ ،

فَهُمَا تَوَاقُفَانِ مُلْتَصِقَانِ

بَلْ هُمَا الْمَاءُ وَالسَّلَاقَةُ ، شَيْبَا

فِي كُؤُوسٍ ، فَاسْتَضَمَّحَا عَنْ جُفَانِ (٣٤)

فِي مِزَاجٍ مِنَ الْحَلَاوَةِ وَالطَّيْبِ —

بِ ، لَذِيذِ الْمَذَاقِ تَحْتَ اللِّسَانِ

(٣١) انتشى من الشراب : سكر ، فهو نشوان .

(٣٢) النجل : جمع النجلا ، وهي الواسعة العين . — الرواني : المديمات النظر بسكون الطرف .

(٣٣) حسر : كواشف .

(٣٤) السلافة : الخمر . — شيبا : خلطا . — الجمان : اللؤلؤ .

كُلَّمَا ذِيْقَ ، جَدَّ فِي النَّفْسِ شَوْقُ
(٣٥) وَهِيَامٌ بِعَذَابِهِ الرِّتَانِ

• • •

يَا عَمِيقَ الإِحْسَاسِ فِي ذَوْقِهِ الْحُسْنُ
(٣٦) نَ ، وَفِي صَوْغِهِ السَّرِيِّ الْمَبَانِي !

أَيَّ نَعْمٍ أَبْقَيْتَ لِلتَّوَتَرِ الْحَنَ—
(٣٧) نَانِ ؟ لِلطَّيْرِ ؟ لِلصَّيْدِ الرِّتَانِ ؟

ذُبْتُ فِيهِ ، أَمْ ذَابَ فِيكَ جَمَالُ
(٣٨) عِشْتَ فِي سِحْرِهِ الرَّقِيقِ الْعَانِي ؟

قَطَّرْتَ قَلْبَكَ الْآخِيذَ دَوَاعِي—
(٣٩) هِ ، وَلَمْ يَنْقَطِعْ عَنِ الْخَفَقَانِ

الهُوَى الطَّاهِرُ الْعَفِيفُ أَبْنِيلًا ،
(٤٠) لَيْسَ فِي دَفْعِهِ لِنَفْسٍ يَدَانِ !

كُنْتُ فِيهِ الْمُضْنَى الْمُعَذَّبَ . لَا كِـنْ
(٤١) كُنْتُ فِيهِ ، مَعَ الْعَذَابِ ، الْهَانِي

وَأَحْتِرَاقُ الْقَلْبِ الْمُعَذَّبِ فِي السِّرِّ—
(٤٢) رِ ، وَإِعْلَانُهُ بِإِلَا كِنِمَانِ ،

(٣٥) الهيام ، بالضم : كالجنون من العشق .

(٣٦) السري : الشريف .

(٣٧) العاني : الناشب في الاسار ، وهو — أي الاسار — ما يشد به .

(٣٨) الآخيد : الأسير .

(٣٩) اليد : الطاقة ، والقدرة ، ومالي به يدان ، أي : طاقة ، يستعمل مفرداً ، ومثنى .

(٤٠) المضنى : من أثقله المرض .

.. شاهدا عِفَّةِ الصَّبَابَةِ فِي الصَّبْنِ —

بِ ، وَطُهِرَ الْمُدَّاهُ الْوَلْهَانِ (٤١)

• • •

يَا (أَبْنُ زَيْدُونَ) ! مَا سَجَايَاكَ إِلَّا

فِي سِيَّاحٍ مِنَ الْهُدَى وَضَمَانٍ

نُبْلُ (وَلَادَةٍ) كَنْبُلٍ مَنَامِيٍّ

لَكَ وَرَاءَ الظُّنُونِ وَالزَّيْغَانِ (٤٢)

النَّوَارُ الشَّمَاءُ عَنْ دَنْسِ الْعِزِّ

ضِ ، وَعَنْ سَوْرَتِي أَدَى وَهَوَانِ (٤٣)

رَبِيتُ فِي السَّنَاءِ مِنْ عِزَّةٍ الْمُلُكِ

لِكِ ، وَصَيِّتُ مِنَ النُّهَى فِي صِيَوَانِ (٤٤)

كَانَتْ الْمَاءُ فِي الْإِبَاءِ عَلَى الْقَبْ

ضِ ، وَفِي مَنَعٍ مَخِضٍ لِلدِّهَانِ (٤٥)

•

(٤١) المدله : الساهي القلب ، الذاهب العقل من عشق ونحوه . - الولهان : الحيران .

(٤٢) الزيغان : الميل الى الفساد .

(٤٣) النوار : المرأة النفور من الريبة . - السورة ، بفتح السين : الحدة .

(٤٤) السناء : الرفعة . - النهى : العقل . - الصوان : ما يسان فيه الشيء .

(٤٥) تلميح الى قول (ابن زيدون) في (ولادة) :

وغرك من عهد (ولادة) سراب ترائى وبرق ومض !

هي الماء .. يابى على قابض ويمنع زبدته من مخض !

يا صَفِيَّ الْوِزَارَتَيْنِ ! أَبْنُ لِي :

أَبْنُ شَارَاتُ امْرَأَةِ الْبُلْدَانِ ؟ (٤٦)

نَصَلَ اللَّونُ عَنْ جَلَالِكَ فِي الْمَلِكِ

كـ ، وَدَلَّتْ بِهَارِجُ السُّلْطَانِ (٤٧)

وَأَنْزَوَى فِي الظُّلَامِ ، إِلَّا فُؤُونَا

حَمَلَتْ ذَوْبَ خَافِقٍ ظَمَانِ (٤٨)

دِنْتَ طَوْعاً بِهَا الزَّمَانُ ، وَعَالَيْهِ

تَ بِلِحْصَانِهَا نَبَاهَةُ شَانِ (٤٩)

هِيَ وَالِدَاهُ ، مَا أَزْدَاهِي الشِّعْرُ حُسْنًا ،

فِي سَوَاءِ الْعِزَّانِ مَقْتَرْنَانِ

• • •

لَسْتُ تَرَوِيحَةً عَنْ النَّفْسِ ، بِاشِعْ

رُ ! وَلَا خَطَرَةَ مِنْ السُّلُوفَانِ

مَا سَلَوْنَا بِكَ الْجِهَادَ ، وَلَا كِـنْ

بِكَ هِجْنَا عِزَّائِمَ الشُّجْعَانِ !

ثَوْرَةُ الْحَقِّ .. مِنْ لَطْفِي جَذْوَةُ الشَّعْبِ

رِ سَنَاهَا ، وَمِنْ وَقُودِ الْبَيَّانِ (٥٠)

(٤٦) الصفي : المختار . - ولقب بذي الوزارتين ، لانه ولي السفارة لابن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس ، فكان السفير بينه وبين ملوك الاندلس ، ثم اتصل بالمعتضد صاحب اشبيلية فولاه وزارته وفوض اليه امر مملكته الى ان توفي باشبيلية في ايام المعتمد على الله ابن المعتمد .

(٤٧) نصل اللون : زال .

(٤٨) الخافق : القلب .

(٤٩) دنت : اخضعت .

(٥٠) الوقود ، بفتح اوله : ما توقد به النار من الحطب ونحوه .

أَنْتَ عَوْنُ الْمُغَالِبِينَ ، وَحَسَدُ
مِنْ حُسَامٍ ، وَشَقَرَةٌ مِنْ سَنِانٍ (٥١)
تَتَغَنَّى ، وَأَنْتَ وَجْهَانُ حَتَّى
ذَوَّبَتْهُ لَوَافِحُ الْإِمَّانِ
تَلْهَبُ الْحِسَّ فِي الضَّمَائِرِ وَقَدْ ،
وَنُصِّفِي سَرَائِرَ الْإِنْسَانِ
لَا تُرْعَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ التَّشَابِيحَ
بِالْأَقْبَاسِ ثَوْرَةُ الْوَجْهَانِ .
نَحْنُ قَوْمٌ نَسْتَذْكِرُ الْحُبَّ فِي السُّرُ
عَ ، وَنَغْشَى ضَرَائِمَ النِّيرَانِ
وَنَرَى فِي السُّيُوفِ مُلْتَمِصَاتِ
لَمْعَ الْبَرْقِ مِنْ ثُغُورِ الْحِسانِ
فَنَوْدُ التَّقْبِيلِ وَهَنِي دَوَامٍ ،
وَالْمَنَابَا مِنْ النُّفُوسِ دَوَانِي (٥٢)
قَدْ عَلِمْنَا : لَوْلَا الْهَوَى وَحَنِينُ النَّ
فْسِ ، لَمْ نَدْرِ مَا هَوَى الْأَوْطَانِ !

١٣٩٥/١٠/١ هـ

١٩٧٥/٩/٦ م

(٥١) السنان : حديدة الرمح . (٥٢) الفوح : الغليان .
(٥٣) في هذه الأبيات الثلاثة تلميح الى قول (عنترة العبيسي) في معشوقته
ابنة عمه (عبلة) :

ولقد ذكرتكَ ، والرماح نواهل مني ، وبيض الهند تقطر من دمي ،
فوددت تقبيل السيوف ، لأنها لمحت كبارق ثفرك التبتسم !

الزعيم المخلص الصدوق . .

ياسين الهاشمي

ياسين الهاشمي أمة في رجل . . آتاه
(الله) مواهب ذهنية ونفسية وخلقية عالية ،
سما بها وبرز ، فكان في عنفوان فتوته
(قائد فيلق) خواض حروب في (النمة)
وأطراف (الشام) ، يجمع بين الشجاعة
والراي الاصيل . ثم (سياسياً) واسع
آفاق التفكير والتدبير ، و (زعيماً) مسدداً
مسموع الكلمة تدين له الخاصة والعامة
بالحب والولاء . و (رجل حكم) يؤسس
قواعد الدولة ، ويحدث لها مقوماتها من
مراقق ومصانع ، ويصلح ، ويعمر : يحرك
الأمور وهو هادئ ساكن وساكنت غير
مستطيل بما يصنع وينفع ، ويكون في مقاعد
الحكم وزيراً ورئيس وزراء مثله معارضاً
على رأس حزب يناضل الانحراف ، ويقاوم
هيمنة (الاستعمار) في السر والعلن ،
بالحكمة والدهاء ، وهو على غاية من الصدق
والاخلاص والوفاء . - عرف فيه صاحب
الديوان ، في ميعة شبابه ووعيه الوطني ،
هذه المزايا ، فناصره ، وكان باعته السي
صياغة هذه القصيدة السياسية فيه مقال
أرعن في صحيفة سياسية ، تجنى فيه
كاتبه عليه ، حين انضم الى (عبدالمحسن
السعدون) في وزارته الرابعة وزيراً للمالية ،
و (العراق) يومئذ يعاني شدة بالغة من
أزمة مالية خانقة ، تكاد تشرف به على
هاوية الافلاس . وما كان شهيد الاخلاص

(عبدالحسن السعدون) رجل سوء يفرط
 في شيء من حقوق الأمة والوطن ،
 فيستراب ، ويتجنبه رجل عظيم كالهاشمي ،
 ولا يتعاون معه ، على ما سيأتي التنويه به من
 وطنية (السعدون) الجليل في باب المرائي .
 وقد يارى صاحب الديوان في عينيته
 هذه عينية الشاعر الكبير (معروف الرصافي):
 ياسين ! انك بالقلوب مشيع

افانت للوطن العزيز مودع ؟
 التي قالها غداة غافسه (البريطانيون) في
 ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٩م ، في (دمشق) ،
 فاختطفوه - وهو فيها يومئذ رئيس ديوان
 الشورى الحربى في الدولة التي انشئت
 تحت هيمنتهم - وحملوه في سيارة الى
 معسكرهم في (لد) ب (فلسطين)
 المفتصة ، فثارت (دمشق) تطالب باعادته.



أَخْلَصْتُ . . فاصْطَفَقَ الْجَنَانُ يُرْصِعُ
 وَبَرَرْتُ . . فَانْطَلَقَ اللِّسَانُ يُرْجِعُ (١)
 نَاضَلْتُ ، وَالْأَيَّامُ لَاهِبَةٌ اللَّظْسَى ،
 وَأَسِنَّةُ الْأَحْدَاثِ حَوْلَكَ شَرَعُ ، (٢)
 فَتَضَلْتُ . . وَأَسْتَرْعَى شُمُوحُكَ (أُمَّةً)
 شَمَاءَ ، يَمْلِكُهَا الْأَشَمُّ الْأَرْوَعُ (٣)

- (١) الجنان ، بالفتح : القلب ، واصطفاه : اهتزاز نبضاته . - يرصع : ينسج
 نبضاته شعراً كما يرصع الطائر عشه ، أي ينسجه . - بررت : توسعت
 في احسانك ووصلك . - وترجيع اللسان : ترديده أصوات نبضات القلب .
 (٢) ناضلت : باريت في الرمي . - اللظى : النار ، أو لهبها . - الأسنة : جمع
 السنان ، وهو نصل الرمح ، أي حديدته . - الشرع : المسدات .
 (٣) نضلت : سبقت وغلبت في الرماء ، يقال : ناضله فنضله . - الأشم :
 السيد ذو الأنفة والرافع الرأس . - الأروع : الذي القواد .

وَصَدَقْتَ . . فَاغْتَنَزْتُ بِصِدْقِكَ (دَوْلَةٌ)

بِالصَّدْقِ يُدْعَمُ صَرَخُهَا وَيُمنَعُ !

•

أَيْضِيرُ هَذَا الزَّهْوُ (طَبَاشٌ) هَذَى ،

وَنَعَى كَمَا نَعَبَ الْغُرَابُ الْإِتْقَعُ ^(٤)

الْمَجْدُ مَجْدُكَ وَالْفِعَالُ شَوَاهِدُ

وَالْعِزُّ عِزُّكَ وَالشَّوَاهِدُ لُمنَعُ

لَا أَدْعِي لَكَ أَوْ أَزِيدُكَ رِفْعَةً

(اللهُ) زَانِكٌ ، وَأَعْتَلَى لَكَ مَوْقِعُ !

• • •

عِشْ (لِلْعِرَاقِ) ، فَأَنْتَ أَنْتَ عَمِيدُهُ

وَلِئَلَيْكَ فِي لَازِمِ الْخَوَادِثِ يُسْهَرَعُ ^(٥)

وَلَقَدْ تَقَاضَاهُ الْيَلَى ، فَكَأَنَّه

طَلَّلَ تَأَبَّدَ ، أَوْ خَلَاءَ بَلْقَعُ ^(٦) !

أَمَّا الرَّجَاءُ ، فَقَدْ تَجَهَّمْ أَفْقُهُ

نَمَّا أَكْفَهَرَّ مِنَ الشَّقَاءِ الْمَطْلَعُ

وَعَرَا النُّفُوسَ الْجَازِغَاتِ مِنَ الْآسَى

يَأْسٌ كَمَرَكُومِ الظَّلَامِ مُصَدِّعُ ،

(٤) الطباش : الارعن المتسرع . - نعى : عاب وشهر . - نعب : صاح وصوت .

(٥) الازم : جمع الازمة بتسكين الزاي ، وهي الشدة . - يهرع : يسعى عجلان ، يقال : هرع وأهرع ، بضم أولها .

(٦) الطلل : الشاخص من آثار الدار . - تأبد : أقفر . - ومكان خلاء : ما فيه أحد . - البلقع : الخالي من كل شيء .

فَأَنِرْ لَهَا وَجْهَ الرَّجَاءِ ، فَلَمَّا
 بِضِيَاءِ رَأْيِكَ تَسْتَنِيرُ الْأَرْبُوعُ^(٧)
 وَتَدَارِكُ الصَّدْعَ الْمَلَمَ ، فَلَمَّا
 بِمِضَاءِ عَزَمِكَ يَرَأُبُ الْمُتَصَدِّعُ^(٨)
 وَاجْتَمَعَ تَفَارِيقَ الرِّجَالِ ، فَلَمَّا
 بِهَيْدَى دَهَائِكَ يُجْمَعُ الْمُتَوَزِّعُ
 وَأَعْمَدُ لِيَتَخَفِّيفِ الضَّرَائِبِ . . لَهَا
 وَقُرُ ، تَنْوُ بِهِ الْقِصَافُ وَتَظْلَعُ^(٩)
 كَم مِّنْ يَدٍ لَكَ فِي (العِرَاقِ) وَضِيئَةٍ !
 فَأَضِيفَ لِمَا أَسَدَيْتَ مَا هُوَ أَرْفَعُ
 وَأَتْرُكُ لَكَ الذِّكْرَ الْجَمِيلَ مُخْلِئاً ،
 فَالِدَ كُرْ أَبْقَى ، وَالْحَامِدُ أَشْبَعُ
 إِنَّا تَفَاءَلْنَا تَفَاؤُلَ مُـــــــدْرِكِ
 لَمَّا طَلَعَتْ عَلَى الْوِزَارَةِ تَسْطَعُ :
 أَنْ يَشْمَخَ (الْوَطَنُ الْحَبِيبُ) إِلَى الذُّرَا
 بِكَ رِفْعَةً ، وَيُنَالَ مَا نَتَوَقَّعُ

(٧) الأربع : أحد مجموع الربع ، وهو الوطن ، ودار الإقامة .

(٨) الصدع : الشق في الشيء الصلب . - الملم : بكسر الميم : الشديد .
 يراب : يصلح .

(٩) الوقر : الحمل الثقيل . - تنوء به : تنهض به بجهد ومشقة . القِصَاف :
 الضعاف النحاف . - تظلع : تغمز في مشيها عرجاً .

وَلَا نَتَّ أَمْثَلُ مَنْ يُرَجَّى شَأُوهُ
 فِي الصَّالِحَاتِ ، وَشَأْنُهُ الْمُتَرَفِّعُ ^(١٠)

وَلَقَدْ تَتَرَّعَ فِي الْمَقَالِ مُعَاتِبٌ
 أَنْحَى عَلَيْكَ ، وَلَمْ يَزَعُهُ تَوَرُّعُ ^(١١)
 مَاذَا رَأَى ، فَيَنَالُ مِنْكَ ؟ فَلِئِمَّا
 تُلْحَى الرَّجَالُ إِذَا بَغَوْا وَتَخَدَّعُوا ^(١٢)
 وَتَسَنَّمُ « الْكُرْسِيِّ » ، لَيْسَ بِسُبَّةٍ
 تَصِمُ الرَّجَالَ ، وَإِنْ اسْتَرَابَ الْإِمْعُ ^(١٣)
 بِجَلَالِ مِثْلِكَ ، يُسْتَزَادُ مَنَاعَةً
 وَيُرَى لِعِزَّتِهِ الْجَلَالُ الْأَرْفَعُ

(١٠) الشأو : السبق ، والغاية ، والمدى .

(١١) تترع : تسرع بالشر . - المكاشح : المعادي . - أنحى عليك : مال عليك بلومه . - لم يزعه : لم يكفه . - التورع : التحرج من الوقوع في الاثم .
 (١٢) تلحى الرجال : تلام وتعذل . - بغوا : ظلموا ، وعدلوا عن الحق ، واستطالوا . - تخدعوا : ارادوا بالناس المكروه ، يقال : خدعه ، وخادعه ، وخدعه ، وتخدعه ، واختدعه .

(١٣) الكرسي : منصب الوزارة . - السبة : العار . - تصم : تعيب . - وصمه يصمه وصماً : عابه . - استراب به : رأى منه ما يريه . - الامع : الذي لا راي له ولا عزم ، فهو يتابع كل احد على رايه ولا يثبت على شيء .

أَوْ مَا كَفَى دَسْتَ الْوِزَارَةِ حِطَّةً
 أَنْ يَطْمَعَ الضَّاوي بِهِ وَالْأَلْكَعُ ؟ (١٤)

• • •

أَنَا لَسْتُ عَنْكَ مُدَافِعاً . لَكِنَّهُ
 حَقٌّ أَذِيلُ ، فَجِئْتُ عَنْهُ أَذْفَعُ (١٥)
 كَثُرَ الْكِيَادُ لَهُ ، وَقُلَّ نَصِيرُهُ ،
 فَكَأَنَّمَا هُوَ بَاطِلٌ ، أَوْ أَشْنَعُ !

• • •

(يَاسِينَ) ! إِنْ مِنْ الشَّنَاءِ تَزَلُّفُـاً
 غَيْرِي بِزَوْقٍ وَشَيْهِ وَيُلْمَعُ
 أَنَا شَاعِرُ الْعَلْبَاءِ .. إِنْ مَطَامِحِي
 غُرُرُ الْمَعَالِي وَالْفَعَانُ الْأَرُوعُ (١٦)
 أَجَلَلْتُ شِعْرِي أَنْ يَكُونَ صَدَى هَوَى
 تَوْحِيهِ حَاجَاتُ النُّفُوسِ فَيَطْمَعَ
 وَإِذَا بَدَا وَجْهُ الرَّجَاءِ مُكَلَّحاً
 جِهَهُماً ، يَثُوبُ إِلَى الْهِجَاءِ وَيُقْنِذُ (١٧)

(١٤) الدست : كرسي الوزارة ، أو الرئاسة ، ومنه قول أبي اسحاق ابراهيم بن يحيى الغزي في وزير ضعيف :

من آلة الدست لم يعط الوزير سوى تحريك لحيته في حال ايماء
 فهو الوزير ، ولا وزر يشد به مثل العروض ، له بحر بلاماء
 . - الضاوي : الضئيل الحال . - الألكع : اللئيم الدني ، والاحمق .

(١٥) أذيل : أهين ولم يحسن القيام عليه .

(١٦) الفعّال ، بالفتح : اسم الفعل الحسن . - الأروع : الذي يعجبك حسنه .

(١٧) الجهم : الوجه الغليظ المجتمع السمج . - بقذع : يرمي بالفحش وسوء القول . يقال : قذعه ، كمنعه ، واقذعه .

الشَّعْرُ . . إِلَّا أَنْ تَكُونَ حَقِيْدَةً

تُوحِيهِ ، زُلْفَى مُعْتَفٍ يَتَذَرَعُ (١٨)

وَهَوَايَ مَجْدُ الْعَبْقَرِيَّةِ وَالْعَلَا :

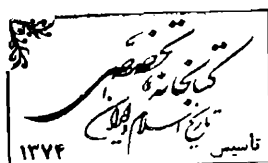
أَزِنُ الرِّجَالَ ، وَمَا تَقُولُ وَتَصْنَعُ

أَخْلَصْتُ . . فَاَصْطَفَقَ الْجَنَانُ يَرْصَعُ

وَبَرَزْتُ . فَاَنْطَلَقَ اللِّسَانُ يَرْجَعُ !

١٩٢٩/٩/٢٦ م

• — •



(١٨) المعتفي : الذي يأتيك يطلب معروفك . — يتذرع بذريعة : يتوسل بها لحاجة في نفسه .

نهاية المطاف

في عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م أصدر المجمع العلمي الجزء الاول من « ديوان الأثري » في إحدى وخمسين وخمسمائة صفحة ، وضَمَّ ثلاثة أبواب :

الباب الأول : ينابيع الفيض ، وهو سبع عشرة قصيدة .

الباب الثاني : الفصحى والشر ، وهو عشر قصائد .

الباب الثالث : أغاني الحرية وملاحم التحرير ، وهو سبع وستون قصيدة .

وقدم الشاعر قسماً من الجزء الثاني وبدأ المجمع بطبعه وتصحيح تجارب الطبع ولكن توقف عن التصحيح عند الصفحة الثانية عشرة والمائة وذلك في اليوم الثالث عشر من أيلول عام ١٩٩٤م ، لانه شغل بتدقيق تجارب كتاب « محمد بهجة الأثري » الذي ضم البحوث التي قدمت في حفل تكمسه يوم الثلاثاء السابع من جمادى الآخرة ١٤١٤هـ الموافق للثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٩٣م .

وودع الشاعر دنياه يوم السبت الرابع من ذي القعدة ١٤١٦هـ الموافق للثاني والعشرين من آذار ١٩٩٦م ، وصدر الكتاب بعد ذلك بأسبوع ليكون خاتمة حياة الأديب الكبير الذي خدم لغة القرآن والثقافة العربية أكثر من نصف قرن .

ولكن ماذا عن الجزء الثاني من الديوان ؟

لقد ترك الشاعر بعضه صفحات مصححة ، بعد أن توقف طبعه عام ١٩٩٤م ، ولم يكن أمام المجمع العلمي إلا أن يطبع تلك الصفحات بعد أن لم يجد غيرها ، وذلك تخليداً لذكرى الشاعر الذي كانت له يد طويلة في تأسيس المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٧م ، وفي رفده بالبحوث ، واسهامه في نشاطه

العلمي خلال خمسين عاما ، لم يتوان فيها عن العمل الجاد ، وظل مواظبا على حضور جلسات المجمع ولجائه وندواته حتى الأشهر الأخيرة من حياته - رحمه الله - .

وكان الأمل عظيما في أن يُنجز طبع ديوان الأثري كله ، ولكن لا مرد لحكم الله ، وها هو الجزء الثاني يصدر ليكون شاهدا على شاعرية عالم جليل ، ومخلص أمين للغة الضاد ، وثقافة العرب .

والجزء الثاني تنمة للأول إذ بدأ بالباب الرابع وهو « الطبيعة ودنيا العمران » وقد ضم عشر قصائد ، وثني بالباب الخامس وهو « مجد وعناوين » وقد حوى أربع قصائد .

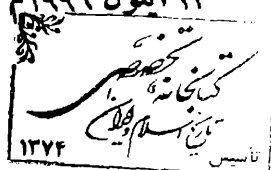
إن صدور هذا القسم من الديوان بعد أن ودع الشاعر دنياه بعض ما يكنه المجمع العلمي للراحل من تقدير وتبجيل ، ولعل الأيام تسعف في طبع الديوان كله ، ليكون صفحة من صفحات الشاعر المشرقة ، وشاهدا على مسيرته الفكرية خلال حياته التي امتدت حافلة بالأعمال الجليلة في خدمة العراق والأمة العربية .

رحم الله الأستاذ محمد بهجة الأثري فقد كان عالما جليلا ، وشاعرا مفلحا ، وباحثا قدرا ، وسلام عليه يوم ولد ، ويوم مات ، ويوم يبحث حيا ، وإنا لله وإنا اليه راجعون .

الاثنين / ١٠ جمادى الأولى ١٤١٧ هـ

٢٣ أيلول ١٩٩٦ م .

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي
وامينه العام



* * *

قصائد الديوان

الباب الرابع : الطبيعة ودنيا العمران ٣ - ٧١

- ٥ بغداد مدينة السلام
- ١٢ بغداد على فم المارد
- ١٨ جمال الطبيعة في الريف العراقي
- ٢٨ دمشق
- ٣٤ دمشق جمال وتأريخ
- ٤٣ ربوة دمشق
- ٤٥ النيل من وحي صورة
- ٥١ المغرب العربي وطن الجمال وأمة الجلال
- ٦٠ اسلامبول عروس الشرق
- ٦٤ باريس من مشارف السماء

الباب الخامس : مجد وعناوين ٧٣ - ١١٢

- ٧٥ أبو فراس الحمداني الأمير الشاعر الفارس المجاهد
- ٨٨ ابن زيدون شاعر الجمال والغزل العذري
- ٩٣ ذكرى شاعر الجمال والغزل العذري في عكاظ رباط الفتح
- ١٠٦ الزعيم المخلص الصدوق ياسين الهاشمي

٨٢١٩٢

أ ٣٤٩

الأثري ، محمد بهجة

ديوان الأثري / تأليف

محمد بهجة الأثري . - بغداد :

المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٦

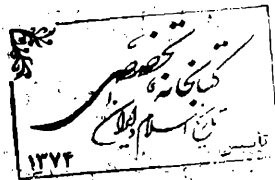
ج ٢ (١١٦ ص) ؛ ٢٤ سم

١ - الشعر العربي - العراق -
دراسات أ . العنوان

٥٠٢

١٩٩٦ / ٢٦١

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)



السعر (الف) دينار